الإرشاد

إلى معرفة

الإمام الجواد عليه السلام



حسين المدرسي



مدرّسي، حسين
الارشاد الى معرفة الامام الجوادعليه السلام / المؤلف حسين المدرّسي، ـ طهران: دار محبي الحسين عليه السلام ١٤٢٤ق = ٢٠٠٣م = ١٣٨٢ ش
١٥٩ ص . ٥٦٠٠ ريال: ISBN 964 - 7373 - 43 - 0
فهرستنويسى براساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه به صورت زير نويس.
١. محمدبن على عليه السلام ، امام نهم، ١٩٥ ـ ٢٢٠ ق. الف. عنوان.
BP ٤٨/٣٧م٤الف ٢٩٧ / ٩٥٨٢
كتابخانه ملى ايران ٢٩٠٤٠ ـ ٨١م

الإرشاد الى معرفة الامام الجواد عليه السلام
المؤلف: سيّد حسين المدرسي
الناشر: دار محبّي الحسين عليه السلام
الطبعة الاولى ـ ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م / ٢٠٠٠ نسخة
السعر: ٥٦٠٠ ريال
مركز التوزيع: طهران ـ ناصر خسرو ـ زقاق حاج نايب ـ هاتف ٣٩٠٧١٨١

شابك ٠ ـ ٤٣ ـ ٧٣٧٣ ـ ٩٦٤	ISBN 964 - 7373 - 43 - 0

الفلم والزنك: نينوا ـ قم ٧٧١٩٥٢٠ المطبعة: عترت ـ قم ٦٦٦٢٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللهمّ وليُّك الحجّة، فاحفظه مِن بين يديه، ومِن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومِن فَوقه، ومِن تحته. وامدد له في عُمرِه، واجعله القائم بأمرك، المنتَصِر لدينك، وارِه ما يُحبه، وتقرّ به عينه في نفسه، وفي ذريّته وأهله وماله، وفي شيعته، وفي عدوّه. وأرِهم مِنه ما يحذَرون، وارِه فيهم ما تُحبه وتقرّ به عينه، واشفِ به صُدورَنا وصدورَ قوم مؤمنين.»

الإمام الجواد عليه السلام
(مَن لا يحضره الفقيه ج١ ص٣٢٧)

مقدمة

لله الحمد أوّلاً وآخراً ، وله الشكر ما بقيتُ وبقي الليل والنهار . .

و الصلاة والسلام على محمّد المصطفى ﷺ و على آله الطاهرين. واللعنة الدائمة على أعدائهم: أعداء الله ، إلى يوم الدين.

و بعد. .

تمضي القرون ، وتنقضي الليالي والأيّام. . وتنطوي صفاحت الأحقاب والعقود ، ويأكل الزمان على الغابرين ويشرب ، ولكن. . يبقى أهل البيت ، الذين ورثوا الكتاب. .

لن ينطفئ ذكرهم ما بقي للقرآن من ذكر ، ولن تزول آثارهم ، ما لم يزل للقرآن أثر ، حيث أنّ الحقّ قضى: (لن يفترقا) إلى يوم يبعثون. .

كيف يموت ذكرهم ، وبذكرهم قامتِ السماوات وسُطحت الأرض؟!

وأنّا لفضلهم أن يُنكَر ، وهو آيات مباركات في كتاب الله؟!

لقد قرن الله أسمائهم باسمه ، وذكرهم مع ذكره ، فيأبى إلا أن

يُخلّد ذكرهم مهما فعل الفاعلون. .

ثمّ إنّهم، شكراً لما منّ الله عليهم، جاهدوا فيه حقّ جهاده، وشروا أنفسهم ابتغاء مرضاته، ولم يشركوا به طرفة عين، فقدّموا رضوانه على الدنيا، حتّى غدَرَ بهم الدهر الخؤون!. ولكنّهم رضوا قضاء الله لأنفسهم بالشهادة، ولأصحابهم بالتشريد، ولشيعتهم بالقمع، ولأخبارهم التي كتبها أصحابهم بالحرق و الغرق و الدفن. .!

هذا الإمام الجواد وهؤلاء بعض أصحابه، كتبوا من أخباره وأحاديثه مئات الكتب، ولكنّ يد الغدر طالتها وأحرقتها أو أقبرتها في الرمال:

❖ فـ(أحمد بن محمّد البرقي)، له مؤلّفات تبلغ المائة، ولكن لم يصل منها إلاّ كتابه: (المحاسن) و(الرجال)!

❖ و(الحسين الكوفي الأهوازي)، له ما يربو على ثلاثين مؤلّفاً. .فأين هي؟!

❖ و(عبد الرحمن التميمي) -من أصحاب الجواد المعتَمَدين-، أين كتبه؟

❖ و(عبد العزيز بن يحيى) ناهزت كتبه المائة والتسعين كتابا، ولم يبلغنا منها شيئ!

❖ و(صفوان بن يحيى) - وكيل الإمام الجوادﷺ-، كتب أكثر من ثلاثين مصنّفاً، ولكنّها أين؟. .وغيرهم كثير.

وبعد، لقد فرض الله على موالي أهل البيت دَوراً لابدّ لهم من القيام به، وهو: إحياء أمرهم.

فقد أمر الإمام الصادق ﷺ شيعته قائلاً: (أحيوا أمرنا..) فكلٌّ مِن حيث يستطيع، بما يستطيع،.. ولو بكلمة.

وها أنا ذا أدلوا بدلوي -ولو كان جهداً متواضعا- بالكتابة عن الإمام الجواد عليه صلوات المصلّين.. علماً أنّ استحالة الأحاطة بكلّ ما درّ من فضائل هذا البحر واضح، إلاّ أنني قد اغترفت منه بمقدار..

ولمّا رايت نفسي أخوض في غمرات بحره، وأغوص في عباب لجحه، لا أدير طرفاً، يميناً أو شمالاً، إلا وتموج عليّ أنواره، فهو كلّ مَن سبقه.. هو محمّد و هو عليّ، وهو حسن وهو حسين، هو هم، ولكن في قالب آخر-..

فليس لي إلا أن أملأ كفّي من ذلك البحر الزخّار، وقد قال أمير المؤمنين ﷺ: (ما لا يُدرَك كلّه، لا يترَك كلّه)[1].. فإنني -بعون من الله- آخذ منه على قدر ما يتّسع له صدري، لا بما هو أهله، بذِكر لمحات من حياته المشرّقة وسيرته المباركة، حتى يكون ذلك "إرشاداً" للسَير نحو رياض معرفته.. بإذن الله.

و إنّني إذ أشرّف مدادي بذلك، أرجوا من المولى أن ينفعني به يوم (ينظر المرءُ ما قدّمتْ يداه)، ويوم يؤتى (كلّ أناس بإمامهم)، راجياً من الله شفاعة وليّه الجواد ﷺ، إنّه جواد كريم.

حسين هادي المدرسي

دمَشق – ١٤٢٠ هـ

---

[1] - غوالي الآلي ج٤ ص٥٨.

«١»

النسب الشريف

لا عجب في أن يكون نسبه خير نسب، وسلالته أشرف سلالة. فالمصطفي هو الله، والمصطفون صنائعه..

النسب أشهر- في فضله ورفعة شأنه- من نار على منار. فهو بن أبي الحسن عليّ الرّضا، بن أبي إبراهيم موسى الكاظِم، بن أبي عبد الله جعفر الصادق، بن أبي جعفر محمّد الباقر، بن أبي محمّد عليّ السجّاد، بن أبي عبد الله الحسين الشهيد، بن أبي الحسن عليّ أمير المؤمنين; وابن سيدة النساء فاطمة، بنت رسول الله محمّد. عليهم أفضل صلوات الله و أشرف تحيّاته و أزكى سلامه.

ثمّ والد أمير المؤمنين -أبو طلب-، ووالد رسول الله -عبد الله-، ابنا هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر-وهو قريش-، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.[1]

---

[1] - البحار ج١٥ ص١٠٧، قال فيه: «نُسب رسول الله ﷺ إلى آدم هكذا: محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم..»، (وراجع إعلام الورى الطبرسي ص٥، قال: وذكر الشيخ أبو جعفر بن بابوي رضوان الله عليه: عدنان بن..) إلى هاهنا متّفق عليه من نسب رسول الله ﷺ، أما ما فوقه ففيه اختلاف كثير، وقد رُوي عنه ﷺ أنه قال:« إذا بلغ نسبي إلى عدنان

هذا النَسَب المهذّب الطاهر، وهذه السلالة المصفّاة، إنْ هي إلا تلكم الشجرةُ المباركة في القرآن، حيث مَعين عطائها لم ينضب، وشلال أنوارها لم يزل، لترشّ النور من مناهلها كلّ حين بإذن ربّها..

القلم يعجز من الإحاطة بفضائل أفراده، حتى وإن أصبحتْ البحار مدادا. لأنّهم كلمات الله التامات..فَلَنفِد البحر قبل أن تنفد فضائل كلمات ربّي.

أمّا الإمام الرضا-أبو الإمام الجواد-ﷺ، ففي حياته المباركة بدأتْ مرحلةٌ جديدة للشيعة، لأنّهم انتقلوا من السرّ إلى العلن، ومن الكتمان إلى الظهور. فاستقرّ بهم النوى بعد أن ضاقت عليهم الأرض..

وقد كانﷺ مرضيّا لدى جميع الناس، صغارا وكبارا، شيبا وشبّانا، حكماء ومحكومين، عند المخالف والمؤالف، حتى جاء في حديث الإمام الجوادﷺ، لّما سأله السائل عن سبب تسمية أبيه بـ(الرضا) مِن بين الأئمّة؟

قالﷺ :«لأنّه رضي به المخالفون مِن أعدائه، كما رضي به الموافقون مِن أوليائه. و لم يكن ذلك لأحد مِن آبائه، فلذلك سمّي مِن بينهم (الرضا).»[1]

فامسكوا»(البحار ج١٥ ص١٠٥،كشف الغمّة ج١ ص١٥) ونحن نمسك هنا امتثالاً لأمره ﷺ.

[1] - علل الشرائع ج١ ص٢٣٦-٢٣٧ ب١٧٢.

وقد قُتل هذا الإمامعليه السلام مظلوماً على يد (عبـد الله) المـأمون العبّاسي، الذي كان يظهر المحبّة لهعليه السلام، ويبطن العداء له، فقَتل الإمـام خوفاً على دنياه، وعلى كرسيّ السلطة التي نزا عليها ظلماً، وتصرّف بها ظلماً، وورّثها من بعده ظلماً.

وهوعليه السلام دفين طوس. فبه طابت، وبمثواه تنوّرت. وقد قال قبل شهادته: «..بورك قبر طوس».فبورك القبر، وبورك ساكنه.

و قد أورد المؤرّخون أبواباً خاصّة في فضل زيارتـه، وذلـك لكثرة الأحاديث التي وردت فيه. وفيما يلي بعضها:

قال أمير المؤمنينعليه السلام: «سيُقتَل رجلٌ من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلماً، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم ابن عمران موسـى. ألا فمَـن زاره في غربته، غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخر، ولو كانـت مثل عدد النجوم، وقطر الأمطار وورق الأشجار.»[1]

وقال الإمام الصادقعليه السلام:«يُقتل حفيدي بـأرض خراسـان، في مدينة يقال لها: (طوس). مَن زاره إليها، عارفاً بحقّه، أخذتُه بيدي يـومَ القيامة وأدخلتُه الجنّة، وإنْ كان من أهل الكبائر.»

-يقول الراوي- قلت: جُعلت فداك، و ما عرفان حقّه؟

قالعليه السلام: «يعلم أنّهعليه السلام مفترض الطاعة، غريب شهيد..مَن زاره عارفاً بحقّه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر سبعين شهيداً ممّن استشهد بين يدي

---

[1] - البحار ج٤٩ ص٢٨٦ .

رسول الله ﷺ على حقيقة.»[1]

وروى الكليني بإسناده عن (مهزيار)، قال: قلت لأبي جعفر (الجواد): جُعلتُ فداك، زيارة الرضا عليه السلام أفضل، أم زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام؟

فقال عليه السلام: «زيارة أبي أفضل. وذلك لأنّ أبا عبد الله يزوره كلُّ الناس، و أبي لا يزوره إلا الخواص من الشيعة.»[2]

وعن (أحمد البزنطي) قال: قرأتُ كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام: «أبلِغ شيعتي أنّ زيارتي تعدل عند الله ألف حجّة.»

قال: فقلت لأبي جعفر: ألف حجّة؟

قال عليه السلام: «إي والله، ألف ألف حجّة، لمن زاره عارفاً بحقّه.»[3]

وقد أورد المجلسي زيارة له عليه السلام عن الإمام الجواد، وفيها ينسب إلى الإمام هذه الأبيات في حق أبيه عليه السلام:

يا قبر طوسٍ سقاك الله رحمته ... ماذا ضمنت من الخيرات يا طوسُ
طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها ... شخص ثوى بسنا آباد مرموسُ
شخص عزيز على الإسلام مصرعه ... في رحمة الله مغمور ومغموسُ
يا قبرَه أنتَ قبرٌ قد تضمّنه ... حِلمٌ وعِلمٌ وتطهيرٌ وتقديسُ
فخراً بأنّك مغبوطٌ بجثّته ... وبالملائكة الأطهار محروسُ

---

[1] - البحار ج١٠٢ ص٣٥.

[2] - الكافي ج٤ ص٥٨٤.

[3] - أمالي الصدوق: ص٦١ ح٩، ثواب الأعمال ص١٢٣ ح٣.

في كلِّ عصر لنا منكم إمام هدى فربعه آهــل مــنكم ومــأنوس
أمست نجومُ سمــاءِ الــدين آفلــةً وظلّ أُسد الثرى قد ضمّها الخيسُ
غابــت ثمانيــةٌ مــنكم وأربعــة ترجى مطالعها ما حنّت العــيسُ
حتّى متى يزهر الحقُّ المــنير بكــم فالحقّ في غيركم داج ومطموسُ

أمّ الإمام

أمّا والدة الإمام الجــوادﷺ الــتي سمّاهــا الإمــام الرضــا ﷺبــ(خيزران): فقد كانت أمّ ولد، ومن أسمائها (سبيكة). وكانــت مريسيّة[1] من مصر.

من أسمائها: (ريحانة)، [2] و تُدعى تارة بــ(دُرّة). [3]

أخذَتْ هذه المرأة العظيمة، بمجامع الشرف، وحــازت أصــلَ الفضل وفرعَه، كسائر أمّهات أوصياء الأنبياء، التي صاغهنّ ربُّ العالمين من طينةٍ طاهرة، واصطفاهن أوعية زاكية، لخلفاء الــنبيّ الخــاتم مــن بعده..كيف لا ورسولُ الله ﷺ هو القائل:

«إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلقنا..أخرجنا إلى أصــلاب الآبــاء،

---

[1] - مريسة على وزن سكينة هي قرية بمصر من ناحية الصعيد (القاموس ج٢ ص٢٥١).
[2] - البحار ج٤ ص٣٨٠.
[3] - البحار ج٤ ص٣٨٠.

وأرحام الأمّهات. ولا يصيبنا نجس الشرك، ولا سفاح الكفر»[1]

وقد وصف الإمام الرضاﷺ هذه المرأة الجليلة بـ(الأمّ المقدسة)،فقالﷺ: «قُدّست أمٌّ ولدته-الجواد-.قد خُلقت طاهرة مطهّرة..»[2]

وفي الكافي أنّها كانت من أفضل نساء زمانها![3]

---

[1] - البحار ج١٥ ص٧.

[2] - البحار ج٥٠ ص١٥.

[3] - الكافي:ج١ ص٣٢٢ ح١٤.

«٢»

الميلاد المبارك

كان الإمام الرضاﷺ قد بلغ الخامسة والأربعين من عمره الشريف من دون أن يُرزق بولد بعد..

وفي تلك الأيّام، المفتتَن بها أهلُها، استغلّ بعض المتزمّتين الفتنة، فافتروا على الإمامﷺ بأنّه عقيم، ليعضدوا موقفهم بالوقف على أبيه موسى بن جعفرﷺ.

ولكنّ الإمامﷺ كان يردّ أقاويلهم بقوله عند بعض خواصّه: «لعنهم الله ما أشدّ كذبهم. أما أنّهم يزعمون أنّي عقيم، وينكرون مَن يلي الأمر من ولدي!.»[1]

ويقولﷺ لذلك السائل -الذي استفسره عن جواز إعطاء الزكاة للواقفية-: «لا تعطهم، فإنّهم كفّار، مشركون، زنادقة.»[2]

ويكتب رجل من الذين في قلوبهم زيغ، رسالة لهﷺ يقول فيها: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟

فيقول الإمامﷺ: «وما علمك أنّه لا يكون لي ولد؟. والله لا يمضي

[1] - رجال الكشّي: ص٤٥٨، عنه البحار: ج٤٨ ص٢٦٥.

[2] - الإمام الجواد من المهد إلى اللحد ص٣١.

الأيام و الليالي، حتى يرزقني ولداً ذَكراً، يفرّق به بين الحق و الباطل.»[1]

و يتقدّم آخَر، ويسأل: مَن الإمام بعدك؟

يقول(ع):«ابني.»

فيقول الرجل: هل يجترئ أحدٌ أن يقول: ابني، وليس له ولد؟![2]

وعن (عبد الرحمن بن أبي نجران)، و(صفوان بن يحيى)، قالا: حدّثنا (الحسين بن قياما)، -وكان مِن رؤساء الواقفيّة-، فسألَنا أن نستأذِن له على الرضا(ع) ، ففعلنا.

فلمّا صار بين يدي الإمام، قال له: أنت إمام؟

قال(ع) :« نَعم»

قال: إنّي أُشهد الله أنّك لستَ بإمام!.

قال-الراويان-: فنكتَ(ع) في الأرض طويلاً منكّس الرأس. ثمّ رفع(ع) رأسه إليه، فقال له: «ما علمك أنّي لستُ بإمام؟»

قال-الواقفيّ-: إنّا قد روينا عن أبي عبد الله(ع): «إنّ الإمام لا يكون

---

[1] - البحار ج٥٠ ص٢٢ . وكان الإمام الصادق قد عبّر عن مذهب الواقفيّة بأنّها فتنة شيطانيّة، وأنّ منتحليه هم شرار الخَلق، كما جاء في كتاب (رجال الكشّي) بسنده عن (الحكم بن عيص)، قال: دخلتُ مع خالي سليمان -على الإمام الصادق- فقال-الإمام-: «مَن هذا الغلام؟» فقال: ابن أختي. فقال-الإمام-: «يعرف هذا الأمر-أي التشيّع-؟» فقال: نعم. فقال-الإمام: «الحمد لله الذي لم يخلقه شيطانا» ثمّ قال: «يا سليمان تعوّذ بالله ولدك مِن فتنة شيعتنا!» قلت: جُعلتُ فداك، وما تلك الفتنة؟ قال-الإمام-: «إنكارهم الأئمّة، ووقوفهم على ابني موسى، ينكرون موته، ويزعمون أنْ لا إمام بعده، أولئك شرّ الخَلق.»

[2] - المصدر ج٥٠ ص٢٠.

عقيما»، وأنت قد بلغتَ السنّ، وليس لك ولد.

فنكّس الإمامعليه السلام رأسه أطول مِن المرّة الأولى. ثمّ رفع رأسه، فقال: «إنّي أُشهد الله أنّه لا تمضي الأيّام والليالي، حتّى يرزقني الله ولداً منّي.» قال(عبد الحمن): فعددنا الشهور مِن الوقت الذي قال، فوهب الله له أبا جعفرعليه السلام في أقلّ مِن سنة.[1]

وغدا الشيعة المخلصون منتظرين أشدّ الانتظار مقدمَ إمامهم..فلم تمض الأيام، حتى وصل اليوم الموعود..

كان يوم الجمعة، العاشر من شهر رجب المبارك، من عام ١٩٥بعد الهجرة، حيث بزغ من أفق الحقّ نور، لتشرق الأرض بمولد حجّة الله وليّه: الجوادعليه السلام، فيستبشر به أبوه الرضاعليه السلام قائلاً: «إنّ الله قد وهبَ لي مَن يرثني ، ويرث آل داود.»[2] وكان يبشّر الناسَ به، فيقول:«قد وُلد لي شبيه موسى بن عمران فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم..»[3]

وإليك تفاصيل ولادتهعليه السلام:

(لما قربت من خيزران الولادة، أمر أبو الحسنعليه السلام أخته حكيمة بأن تحضر ولادها، وتدخل هي والقابلة البيت على الخيزران. وقد وُضع فيه المصباح.

---

[1] - البحار ج٤٩ ص٣٤ ح١٣.

[2] - بصائر الدراجات ج٣ ص١٣٨.

[3] - مدينة المعاجز ج٧ ص٣٩٩-٤٠٠.

فلمّا أخذها الطلق، أُطفأ المصباح، فلم يبصرا أمّ الجـــوادﷺ، و لم يعرفا ما صُنع بها! فقلقَتْ حكيمة لذلك، واعترتها الدهشة فيما فاجأها.

وبينما هي على هذا، وإذا بالنور يسطع إلى عنان السماء، وقـــد عمّ البيت بأجمعه! وأبو جعفر الجوادﷺ في الطشت، وعليه شيء رقيق كهيئة الثوب، شاخصاً ببصره نحو السماء، ومنادي يناديه من بطنـــان العرش: «اثبت أنت صفوتي من خلقي، وموضع سرّي، وعيبة علمـــي، وأميني على وحيي، وخليفتي في أرضي. لك ولمن تولاّك أوجبتُ رحمتي، ومنحتُ جناني، وحللتُ جواري. وعزّتي وجلالي لأصلينّ من عـــاداك أشدّ عذابي، وإنْ وسعت عليهم من سعة رزقي.» فإذا انقطع صـــوت المنادي. فأجابه الإمامﷺ، وهو واضع يده على رأسه: **(شهِدَ الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكةُ وأولوا العِلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيـــز الحكيم[1])[2]**

وفي رواية: قالت حكيمة: فلما ولدَتْه، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله.» فلمّا كان اليوم الثالث، عطس، فقال: «الحمد لله، وصلّى الله على محمّد وعلى الأئمّة الراشدين.» [3]

كان ميلاداً مباركاً سعيدا. لأنّه أصبح سبباً لاتحـــاد الشـــيعة،

---

[1] - آل عمران\١٨.

[2] - البحار ج٧ ص١٩١.

[3] - دلائل الإمامة: ٣٨٣ ح٣٤١.

ولانتصار الحقّ، فبالحقّ أنزله الله من حول عرشه،[1] وبالحق نزل.

وبالخصوص أنّ الواقفيّة كانت قد قويتْ شوكتُهم آنذاك، حتى تاه الكثير من المتزعزِعين، وغيرهم من الشاكة قلوبهم. ولكن تمّ كبحُ جماح الضُلاّل بعد ذلك المولود المبارك.

فحمدت الشيعة ربّها، وسبّحت ذاته المقدّسة، لما رأت من صدق الوعد، بعدما ذاقت مرارة الصبر والتسليم.

---

[1] - راجع البحار ج٧ ص٢٠٣، أيضا: البحار ج٣٦ ص٣٤١ ح٢٠٦.

«٣»

عهد الصبى

ورد في الحديث عن أبي الحسن الرضا(ع) قال: «إنّ الصبيان قالوا ليحيى (بن زكريّا): اذهب بنا نلعب. قال: «ما للعب خُلقنا.» فأنزل الله تعالى: **(وآتيناه الحكم صبيّاً)**.»[1]

ونظير الموقف هذا، جرى بين الإمام الجواد(ع) وبين أحد الأصحاب، عندما كان الإمام(ع) لا يزال حديثاً في سنّه. فقد جاء هذا الرجل وهو يحمل معه شيئاً مما يلعب به الأطفال..يقول:

لما جئتُه(ع) و وقفتُ أمامه مسلّماً، لم يأذن(ع) لي بالجلوس! فرميتُ بما كان معي بين يديه، فغضب علَيّ، وقال(ع): «ما لهذا خلقنا.»

و في نسخة أخرى: «..ما لهذا خَلقني الله، ما أنا واللعب؟.»[2]

الإمام الجواد(ع)، مع أنّه كان صغيراً في سنّه وخَلقه، ولكنّه كان عظيماً في معرفته وخُلقه. والحديث التالي خير شاهد:

عن (محمّد المحمدوي)، عن أبيه، إنّ حاضنة أبي جعفر(ع) قالت

[1] - البحار ج٥٠ ص٥٩.

[2] - البحار ج٥٠ ص٥٩، دلائل الإمامة ص٢١٣.

بل أراك مفكّراً، كأنّك شيخ؟!

لها:«إنّ عيسى بن مريم كان يَمرُض وهو صبيّ، فيصف

الجه به، فإذا تناوله بكى.

فقالت: يا بنيّ، إنّما أعالجُك بما علّمتَني!

فيقول لها: الحُكم حكم النبوّة، والخلقة خلقة الصبيان.»

نعم، إنّ الله آتى الإمام الجواد رُشد عقله، قبل رُشْد عِظامه. ورُشد فهمه، قبل تجاوزه عهد صباه..فبلغ معالي العرفان، قبل أن يبلغ أشدّه..

سابقت معارفُه طبائعَ الطفولة، فكان السَبق للأوّل، ليتجاوز إدراكُ الإمامِ، حدودَ الزمان والمكان، وحواجزَ العصور والأمصار..

صحيح أنّ الله ما آتاه النبوّة، فقد قضى أن لا نبيَّ بعد خاتم النبيين، ولكنّه آتاه الإمامة صبيّا، التي قضى خليلُ الله إبراهيم، عمراً طويلاً عبداً..فنبيّاً..فرسولاً..فخليلاً..ثم صار على الكِبَر، -وبعد أن وهب له من ذريّته إسماعيل وإسحاق-، بعدما ابتلاه بكلمات فأتمّهنّ..ثم قال له: **(إنّي جاعلك للناس إماما)**...

* * *

كانت قد عمّت بركاته عليه السلام جميعَ محبّيه، حيث روى (يحيي الصنعاني)، قال:

كنتُ عند أبي الحسن عليه السلام فجيء بابنه أبي جعفر عليه السلام وهو صغير، فقال عليه السلام: «هذا المولود الذي لم يولد مولود، أعظم على شيعتنا بركة

منه.»[1]

و يقول (الصنعاني) أيضاً: دخلتُ على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكّة، وهو يقشر موزاً ويطعم أبا جعفر عليه السلام، فقلت لـه: جُعلتُ فداك، هو المولود المبارك؟

قال عليه السلام :«نعم. يا يحيى، هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه.»[2]

أقول: يمكن أن يكون مراد الإمام الرضا عليه السلام من الحديثين السابقَين أكثر من مطلب، ليصير ذا معنى مفهوم لمختلف الطبقات من مدارك الناس وفهمهم. فقد يسمع الحديث شخص، فيفهم شيئا، ويسمع ذات الحديث آخر، فيفهم منه معنى أعمق مما فهمه الأوّل، ولعلّ كلا المعنيين من مراد الإمام، وبالخصوص أنّ أحاديث الأئمّة -كما تشير بعضها- لها بطون، كما للقرآن بطون.

وهذا الحديث أيضاً، فقد تكون له معاني مختلفة، منها:

١) حيث أنّ الإمام الجواد عليه السلام هو الإمام والخليفة لله على البرايا، وهو ممن (بِيُمْنهم رُزق الورى)، أو كما يقول الإمام الباقر عليه السلام:«..بهم يَرزق الله عباده، وبهم يعمر بلاده. وبهم ينزل القطر مِن السماء، وبهم تخرج بركات الأرض..»[3] وهو مَن لولاه، لَماجت الأرض بأهلها[1]،

---

[1] - البحار ج٥٠ ص٢٣ .

[2] - البحار ج٥٠ ص٥٣ .

[3] - البحار ج٢٣ ص١٩.

وساخت بهم[2]..فوجوده على ظهر البسيطة، إنّما هو بركة عظيمة لا تُنكر، سواء لأهل زمانه، أم من تأخّر عنه..

٢) إذا كان مَن مات و لم يعرف أئمّته، مات على ضلال وعمى..فالإمام الجواد، إذ وُلد، وعرفه شيعته واتبعوه، ونالوا الشرف بولايتهم إيّاه، وقرّت عيونهم به..سيكون البركة العظمى لهم، حيث يُرزقون-بولايته-، مُلكاً لا يبلى، في جنان هم فيها خالدون..

٣) إنّ الناس-كلّ الناس- يستحقّون بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، في دار الدنيا قبل الآخرة. ولكن، بفضل خلفاء الله -ومنهم الإمام الجواد- على بريّته، ووجودهم بين أظهرهم، فإنّ الله تعالى يرفع عن الناس العذاب إلى أجل.. وهذا ما قاله الإمام الباقر(ع) لما سأله جابر: لأيّ شيء يحتاج إلى النبيّ والإمام؟

فأجاب(ع): «لبقاء العالَم على صلاحه. وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبيّ أو إمام. قال الله عزّ وجلّ:**(وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم)**وقال النبيّ(ص):«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض. فإذا ذهبت النجوم، أتى أهل السماء ما يكرهون. وإذا ذهب أهل بيتي، أتى أهل الأرض ما يكرهون»..وبهم يمهل -الله- أهل المعاصي، ولا يجعل عليهم العقوبة

---

[1] - الكافي ج١ ص١٩٦.

[2] - الكافي ج١ ص١٧٩.

والعذاب..»[1]

٤) قد سبق الذكر أنّ الإمام الرضاﷺ في عهده كثرت الواقفيّة، وذلك بعدما اشتعل رأس الإمامﷺ شيباً، وبلغ في العمر مبلغاً خافوا أن يقضي نحبه من دون أن يخلّف..

ولكن لّما وُلد الإمام الجواد ﷺ، كانت ولادته من أجلى البراهين لإمامة أبيه، كما كانت كشفاً لزيف معتقد الواقفيّة الذي كاد أن ينجرّ إليه أغلب الشيعة.. ومن هنا كان ﷺ بولادته بركة عظيمة على بقاء دين الله وأهله، وعلى الإسلام والمسلمين.

وهذا المعنى يظهر من وصف الإمام الرضاﷺ ابنه بـ(المولود) فإنّ ذكر الوصف في الحُكم، يُشعِر –كما قالوا- بالعليّة.

وبتعبير آخر، كأنّ الإمام ﷺ قال: إن بولادة ابني.. أو: إنّ ابني، لأنّه وُلد، صار أعظم مولود بركة. فلأن الإمام الرضا ﷺ وصف الإمام الجواد ﷺ بالمولود، فإن في وصفه بذلك إشعار بأن الولادة هي السبب في كونه البركة العظيمة.

ولماذا صارت ولادته بركة؟ لأنّه-كما أسلفنا- جعل سموم الواقفيّة تُنثر أدراج الرياح، لتخرس شقاشق شياطينهم، ويسفر الحق عن محضه..

وبهذا التوجيه والذي سيليه، يكون الحديثان مختصين بالإمام

[1] - البحار ج٢٣ ص١٩.

الجواد عليه السلام دون سائر الأئمّة.

٥) يمكن أن يكون كلّ من الحديثين إشارة إلى ما حدث من الاحتجاج بين الإمام الجواد عليه السلام وبين يحيى ابن أكثم، وانتصار الإمام عليه.

فإنّه لم يُعهَد في التاريخ أنّ صبيّاً عمره يقلّ سنّه على العشرة، يدخل سوح الاحتجاج مع أكبر شخصيّة علميّة في الدولة، وقاضي القضاة، فيتغلّب الصبيّ عليه بحيث يتلجلج في الكلام، ويظهر عجزه!.

ومِن الواضح أنّ هذا الانتصار كانت له بركات عظيمة في رفع معنويّات الشيعة في كلّ مكان، ورفع رؤوسهم افتخاراً بهذا الشرف والموفّقيّة التي تجلّت فيها نبذة من عظمة إمامهم الجواد عليه السلام..

وهذه المعاني الظاهرة، ويمكن أن يكون مراد الإمام الرضا عليه السلام من حديثيه أعمق وأغور من ذلك، والله العالم.

* * *

كان الإمام الجواد عليه السلام شديد السُمرة، لذلك أثار شكوك المرتابين -من الذين أثّرت فيهم شبهة غَيبة الإمام موسى الكاظم، وأن لا إمام بعده وهو الإمام القائم[1]-، فعرضوه على (القافة)[2].

ولّما نظر القافة إليه، خرّوا لوجوههم سجّداً! ثم قاموا فقالوا: يا ويحكم، أمثل هذا الكوكب الدّريّ، والنور الزاهر تعرضون على

---

[1] - وهم المعروفون بالواقفيّة.

[2] - جمع قائف، و هو الذي يعرف النسب بفراسته.

مثلنا؟! هذا والله الحسب الزكيّ، والنسب المهذّب الطاهر، ولدتْه النجوم الزواهر، والأرحام الطواهر. والله ما هو إلا مِن ذريّة النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ!.[1]

* * *

وكان إمامنا الرضا ﷺ محبّاً لولده الجواد ﷺ ومحترماً له بالغ الاحترام، فكان ﷺ لا يذكره باسمه، وإنّما يكنّيه. أو يقول: «ابني» أو عندما يريد نداءه، يقول له تارة: « فداك أبوك»[2] وأخرى «بنفسي أنت»[3].. كلّ ذلك احتراماً له وإجلالاً.

وهذا محمّد بن عباد كان كاتباً للإمام الرضا في خراسان، يقول: لم أسمع الرضا ﷺ يذكر ابنه محمّداً ﷺ إلا بكنيته، فيقول: «كتب إليّ أبو جعفر» و«كتبتُ إلى أبي جعفر»..[4]

* * *

وصلتْ رُسل المأمون إلى الإمام الرضا ﷺ بأن يخرج من المدينة إلى (مرو) بأرض خراسان، ليرشد الناس ويأمّهم. وإن لم يكن ذلك هو قرار المأمون الواقعيّ، بل ليغلب على عقول الناس أمرُه..

---

[1] - وأضاف عليه المجلسي: وهو ﷺ في ذلك الوقت ابن خمس وعشرينَ شهراً (البحار ج٥٠ ص٩).

[2] - البحار ج٥٠ ص٥٩ ح٣٤.

[3] - المصدر السابق.

[4] - عيون الأخبار للصدوق ص٣٥١.

ولكنّ دهائه لم يسبق علم الإمامة..الإمام الرضاﷺ غير جاهل عمّا يريد الرجل صنعه، وإنّ مكيدته غير خافية عليهﷺ، فالإمام أعلم من أن تتلاعب به الأهواء..

ولذلك رفضﷺ في البداية أن يعيَّن وليّاً للعهد. ولكنّ لّما رأى المأمون موقف الإمام، وأنّ خطّته باءت بالفشل، أجبره على قبولها، وعلى إقامته في (مرو) وإلا..قَتَله!

فاستعدّ الإمام للرحيل، وسار إلى خراسان جبراً وقهراً، من قِبل تلك السلطة الظالمة. لكنّهﷺ كان يعلم أنّ ما يجري إنّما هو بعين الله، وأنّ الأمور مقدَّرة في لوح محفوظ عند مليك مقتدر..لذا غدا صابراً صامداً صمود الشُمّ الشوامخ والصُمّ الرواسخ. قد رسخ الصبر في إيمانه، رسوخ الوتد في الأرض، لا يزداد تلقّياً للهجمات، إلا ليزداد صلابة وتمسّكاً بمبدئه وعقيدته، وليرتفع شموخاً و إجلالاً أمام كلّ ما يمتّ إلى زبارج الدنيا وزخارفها بصلة.

فسارﷺ من المدينة مودّعاً آله، آخر وداع...

وخلّف الإمامﷺ لشيعته في طَيبة: ابنه الإمام الجوادﷺ. وذلك لأنّه لم يكن مَن هو مثلهﷺ فيها، بل حتى في سائر البلاد، مَن يضاهيه في إدراكه وفهمه ومعرفته، أو يوازيه في أخلاقه وفكره وعطائه. فهو أعلم وأفهم وأعرف أهل زمانه بعد أبيه. ولِما كانت لديه من الكفاءة الموهوبة-وهو لا يزال في الخامسة من العمر-..

وبينما الإمام الرضا وليّ العهد في خراسان، كان الإمام الجوادﷺ

يدير الأمور في المدينة، ويؤدّي دوره في أداء الرسالة.

فبين حين وآخر يرسل(ع) الرسائل إلى والده(ع)، و تأتيه من والده إليه جواباً وابتداءً، فيما يرتبط بالأمور الخاصة والعامّة في يثرب.

يقول (محمّد بن عيسى) راوياً مضامين إحدى مرسلات الإمام الرضا(ع): كنتُ في ديوان (أبي عباد)، فرأيت كتاباً يُنسَخ.

فسألتُ عنه، فقالوا: كتاب الرّضا(ع) إلى ابنه من خراسان.

فسألتُهم أن يدفعوه إليّ، فإذا فيه: «بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم، أبقاك الله طويلاً، وأعاذك من عدوّك. يا ولد، فداك أبوك، قد فسرت لك ما لي وأنا حيّ سوي، رجاء أن ينمّيك الله بالصلة لقرابتك، ولموالي موسى وجعفر رضي الله عنهما..قال الله:**(مَن ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة)** وقال:**(لِينفق ذو سَعَةٍ مِن سعته ومَن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله)** وقد أوسع الله عليك كثيراً، يا بُنيَّ، فداك أبوك، لا تستر دوني الأمور لحبّها، فتخطئ حضّك، والسلام.»[1]

و كان الإمام الجواد(ع) كان إذا وصل إليه كتاب من أبيه، يأخذه ويقرأه ويضعه على عينيه، ثمّ يبكي حتىَ تسيل دموعه على خدّيه، وهو يقول: «خطّ أبي والله ، خطّ أبي والله.»[2]

---

[1]- البحار ج٥٠ ص١٠٤.

[2]- راجع: الإمام الجواد من المهد إلى اللحد ص٩٧.

* * *

وحانت الساعة ليلقى الحبيبُ حبيبَه، لتصعد روحُ الإمام عليّ بن موسى الزكيّة، إلى جنان ربّها راضية مرضيّة. بسبب ذلك السمّ الــذي دسّه المأمون إليه. لأنّ المأمون ما وضع ولاية العهد في عنق الإمــام إلا ليستتبّ له الأمر ولَتقوى شوكة مملكته. فعندما هدأت معمعة معارضيه وقوي سلطانه، احتال على قتل وليّ عهده!..ولكنّ الرضا مضى راضياً بقضاء الله، وترك كلّ ما في الوجود طرّاً لله، إلى الله، ومــن أجــل الله وحده..

كان يوم ١٧من شهر صفر من عام ٢٠٣..الإمام الجــوادﷺ لم يكن عند أبيه، وإنّما في المدينة، مــع حضــور أهــل بيتــه وبعــض أصحابه..وإذا بهﷺ قد تغيّر حاله وجعل يبكي!، فدعى جاريــة لــه، فقال: «قولي لهم يتأهبون[يتهيئون] للمأتم.»

فلمّا كان في الغد، فعل الإمامﷺ مثل ذلك.

فقالوا: مأتم مَن يا بن رسول الله؟

قالﷺ: «مأتم خير مَن صلّى على الأرض. مــأتم أبي الحســن الرضاﷺ.» «فقد استشهد الساعة في خراسان.»

فقال أحد الأصحاب: بأبي أنت وأمّي، خراسان تبتعد عن المدينة آلاف الأميال، وتفصل بينها سهول وجبال!.

فقالﷺ: «نَعم، دخلني ذلٌّ من الله عزّ وجل، لم أكن أعرفــه، فعرفتُ أنّ أبي قد توفّي.»

فقالوا: أتانا خبر أبي الحسن عليه السلام بعد ذلك بأيام، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.[1]

وقرّب الله للإمام الجواد ما بَعُدَ عن غيره، وانطوت له الأرض مِن المدينة إلى خراسان حيث مقتل أبيه عليه السلام. فحضره ليغسّله ويكفّنه ويدفنه بتلك البقعة الطاهرة.. ولّما سأله الهروي عن كيفيّة دخوله الدار والباب مغلَق، قال عليه السلام: «الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت، هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق.»[2]

وهكذا تسلّم الإمام الجواد مواريث آبائه، وقام مقامهم ليتحمّل عليه السلام عبئ الإمامة، فيصير سيّدا للكائنات، وخليفة من الخالق إلى كلّ مخلوق، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره الشريف.[3]

* * *

انقدحت في نفوس أناس شُبَه، كانت -بالنسبة إليهم- غاوية.. وكان من بين تلك الشبه:

كيف يمكن للإمام عليه السلام أن تطوى له الأرض، بينما سائر الخلق عجزوا عن فعل ذلك؟

ومنها أيضاً: كيف يكون الجواد عليه السلام إماماً، وهو صبيّ ما بلغ أشدّه واستوى بعد؟..

---

[1] - عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٦٧ ح١. وفي البحار ج٤٩ ص٣١٠ بنفس المضمون.

[2] - البحار ج٤٩ ص٣٠٠.

[3] - قال المجلسي في البحار (ج٥٠ ص٧): أقام عليه السلام مع أبيه سبع سنين، وأربعة اشهر ويومين.

والجواب-بإيجاز-: لو أنّ الناس عجزوا عن طيّ تلك المسافة، فإنّ الله لا يعجزه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وهو الذي صيّر وليّه الجوادﷺ حاكماً على الأرض والسماء، إماماً لمن فيهما.

وإن معجزتهﷺ لم تكن خارقة للسنن الربانيّة ولا خارجة عنها.. وإنّما بإذن الله وإرادته فعل الإمام ما فعل..

ثمّ إنّ مسألة طيّ الأرض للإمامﷺ، ما اختصّ بالاعتقاد بها الشيعةُ فقط، بل حتى بعض علماء أهل السنّة، تلقوها بالقبول والتسليم، أمثال الشيخ محمود الشيخاني الشافعي، الذي يقول في كتابه(مناقب آل النبيّ) في حقّ الإمام الجواد: (كان يطوى له الأرض، فيصلّي في يوم واحد بمكّة والمدينة والشام والعراق.)[1]

و يحدّثنا القرآن عن وصيّ سليمان، لما طويت الأرض له، ليأتيه بعرش بلقيس، أنّه لم يك فيه أيّ إشكال ما دام أنّه بإذن الله..

فهل في انطوائها للإمام أبي جعفر- الذي هو من أوصياء خاتم الرسل وسيدّ أولي العزم-، هل فيها ثمّة خروج عن سنّة الله وإرادته؟ أم أنّ الله ما أذن له-وحاشا له العصيان-؟..

ولكنّ الحقّ أنّه لا ذا ولا ذاك. فالإمام هو عبد الله ووليّه، لا يعصيه طرفة عين، فيأتمر بأوامره، وينتهي إذا نهاه...

وأمّا كيف يكونﷺ إماماً وهو صغير؟، فليس ذلك عند الله

---

[1] - الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ ص٤٠٤ مخطوط.

بعجيب، إذ أنّ الإمام الجوادﷺ ليس الفرد الوحيد الذي أوتي الحكم من الصبى!. فقد سبقه عيسى بن مريم، حينما تكلّم وهو في المهد، فكان نبيّاً وحجّة على من سمع كلامه.

وأيضاً كان يحيى بن زكريّا نبيّاً وهو لم يبلغ الحلم: **(يا يحيى خذ الكتاب بقوّة، وآتيناه الحكم صبيّاً)**[1]. وبغضّ النظر عن إمامة الإمام الهاديﷺ والإمام الحجّة المنتظرﷺ اللذَين أيضاً صارا إمامين من قبل البلوغ.

ثمّ شتّان بين الإمام وبين الناس.فأننا لا نستطيع أن ننظر إلى أئمتنا كأنهم مثلنا، ونقيسهم بمعاييرنا ومقاييسنا، وكفى بآية التطهير تفضيلاً:**(إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا)**.ثم إنّ خلْقهم كان من نور، وإنّ رضا الله رضاهمﷺ كما في الحديث[2]، وإلى غير ذلك مما خصّ الله تعالى به إيّاهم..

* * *

أمّا النصوص على إمامته، فالعجب العجاب ممن ينكرها. فقد نصّ على إمامته: الله،[3] و الخضر،[4] و رسول الله،[5] وفاطمة الزهراء،[6] و

---

[1] - مريم / ١٢.

[2] - البحار ج٤٤ ص٣٦٧.

[3] - البحار ج٣٦ ص١٩٣.

[4] - إكمال الدين: ج١، ص١٣١، ح١.

[5] - البحار ج٤٣ ص٢٤٨، و أيضاً ج٣٦ ص٢٤٩، ج٢٧ ص١١٨.

[6] - إكمال الدين ج١ ص٣٠٥.

الإمام الحسين،[1] و الإمام السجّاد،[2] والإمام الباقر،[3] والإمام الصادق،[4] والإمام الكاظم،[5] والإمام الرضا[6]..نصّوا على إمامته وولايته ووصايته وخلافته، في مواطن عديدة ومناسبات مختلفة ومواضع شتّى..

إنّ لأجل شُبَه التشكيك في(صغر السنّ) و(انطواء الأرض بخرق العادة) وأمثالها، كثيرا ممن مضوا، تاهوا في المهاوي، وانزلقوا في مخالب الضلال. فلما رأوا أنّ أئمتهم صغار، لم تستوعبه عقولهم فأنكروا ولايتهم، وتوقفوا على إمامة مَن كان قبلهم، أو ائتمّوا بمَن لم يشرّع به الله ولا رسوله..

وقد حدث ذلك في عهد الإمام الجوادعليه السلام أيضا. حيث توقّف بعض الأصحاب في إمامتهعليه السلام لما فوجئوا بصغر سنّهعليه السلام، إلى أن توجّه أكابرهم من العلماء والفقهاء إلى الحجّ، وتشرّفوا بلقائهعليه السلام، فظهر لهم من علومه ومعجزاته وكراماته الشيء الكثير، فارتفع الشكّ عن أغلبهم.

إذن العُمر ليس ميزاناً لمقاييس الله. فرُبّ شيخٍ كبير طاعن في السنّ، لا يفقه قولاً، ولا يدرك عِلماً، يعيش في دهاليز الجهل والعمى،

---

[1] -كفاية الأثر: ٢٣٢.

[2] - إثبات الهداة: ج١ ص٦٥١ ح٨١٠.

[3] -نور الثقلين: ج٢ ص٢١٥، وأيضا في البحار ج٣٦ ص٣٩٠، ووسائل الشيعة ج١٦ ص١٧٨.

[4] -البحار: ج٣٦ ص٤٠٩، وأيضاً في كفاية الأثر ص٢٥٦.

[5] - عيون أخبار الرّضا: ج١ ص٣٢، والبحار: ج٤٩ ص٢١، والكافي: ج١ ص٣١٩.

[6] - الكافي ج١ ص٢٨٦ ح٣، كفاية الأثر ص٢٧٤.

هو في واقعه من الصاغرين. ولعلّ طفلاً قدرُه عند الله عظيم مع الأولياء والصدّيقين. فإنّ عظمة الإنسان بروحه ونفسه ومواهبه، لا بجسده وأيّام عمره.

ودليل آخر يعضد جواز كون الإمامة مع صغر السنّ ما جاء في الأخبار عن (علي بن أسباط)، قال:

رأيتُ أبا جعفر-الجواد-عليه السلام قد خرج علَيَّ. فأحددتُ النظرَ إليه و إلى رأسه و إلى رجله، لأصف قامته لأصحابنا بمصر. فخرّ عليه السلام ساجداً وقال:«إنّ الله احتجّ في الإمامة، بمثل ما احتجّ في النبوّة، قال الله:**(وآتيناه الُحكمَ صبيّاً)**،وقال الله:**(فلمّا بلغَ أشُدَّهُ)** وبلغ أربعين سنة. فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبيٌ، ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنة.»[1]

و يقول (الحسين بن محمد) عن (الخيراني) عن أبيه، قال:

كنتُ واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان فقال له قائل: يا سيّدي، إن كان كَون، فإلى مَن؟

قال عليه السلام: «إلى أبي جعفر ابني.»

فكأنّ القائل استَصغرَ سنّ أبي جعفر عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبيّاً صاحب شريعة مبتَدَأ في أصغر مِن السنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام.»[2]

---

[1] - البحار ج٥٠ ص٣٧.

[2] - راجع أصول الكافي المجلّد الأوّل.

وما أكثر النصوص التي ألقاها الإمام الرضا(ع) حجّة على الناس، مشيرا إلى ابنه الجواد(ع) قبل ولادته[1] وبعدها[2]. والتي رواها لفيف من أصحابه المخلِصين المستخلَصين، الذين من بينهم: عليّ بن جعفر الصادق(ع)، وصفوان بن يحيى، ويحيى الصنعاني، ومعمر بن خلاّد، وابن أبي نصر البزنطي، ومحمّد بن سنان، والحسين بن يسار، والحسن بن جهم، وأبو يحيى الصنعاني، ويحيى بن حبيب الزيّات..

ومن تلك النصوص ما قد ذكرت آنفاً، مضيفاً الأحاديث التالية:

■ عن (صفوان بن يحيى)، قال: قلت للرضا(ع): كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر(ع)، فكنتَ تقول:«يهب الله لي غلاما».فقد وهبه الله لك، فأقَرَّ عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كونٌ، فإلى مَن؟

فأشار(ع) بيده إلى أبي جعفر(ع) وهو قائم بين يديه.

فقلتُ له:جُعلتُ فداك، هذا بن ثلاث سنين؟!

قال(ع): «وما يضرّه من ذلك، قد قام عيسى(ع) بالحجّة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين.»[3]

---

[1]- البحار ج٥٠ ص٣٥، حلية الأبرار: ج٤ ص٦١١، وفي حديث أنّ الإمام الرضا(ع) سُئل: أتكون الإمامة في عمّ أو خال؟ فقال الإمام:«لا.»، فقال الرجل: ففي أخ؟ فقال(ع):«لا.» قال: ففي مَن؟ قال(ع): «في ولدي.» وهو يومئذ لا ولد له.(راجع الكافي ج١ ص٢٨٦ ح٣).

[2]- نور الثقلين: ج٣ ص٣٢٣، الكافي ج١ ص٣٢٢، الهداية الكبرى: ص٢٨٢، عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٢١ ح١.

[3]-حياة أولي النهى\الإمام الجواد(ع) ص٧٩

■ عن (معمر بن خلاّد)، قال: سمعتُ الرضاﷺ يقـــول-وذكـــر شيئاً-فقالﷺ:« هذا أبو جعفر، قد أجلســـتُه مجلســـيّ، وصـــيّرته مكاني.» وقالﷺ: «إنّا أهل بيت يتوارثون، أصاغرنا عن أكابرنـــا، القذّة بالقذّة.»[1]

■ وفي (إثبات الوصيّة): روى جماعة من أصحاب الرضاﷺ قال: قال الرضاﷺ: «لّما أردتُ الخروج من المدينة، جمعتُ عيالي، وأمـــرتهم أن يبكوا عليَّ حتّى أسمع بكائهم. ثمّ فرّقتُ فيهم اثني عشر ألف دينار، لعلمي أنّي لا أرجع إليهم أبدا.»

قال: ثمّ أخذ [الإمام الرضا] أبا جعفر [الجواد]، فأدخله المســـجد [النبويّ]، ووضع [الإمام الرضا] يده [الإمام الجواد] على حائط القبر [قبر رسول الله]، وألصقه به، واستحفظه رسول الله.

فقال [الإمام الجواد] له:« يا أبت، أنت –والله– تذهب إلى الله.»

قال: ثمّ أمر أبو الحسن [الرضا] جميع وكلائه بالسمع والطاعة لـــه [الإمام الجواد]، وترْك مخالفته، ونَصَّ عليه عند ثقاته، وعرّفهم أنّه القيِّم مقامه..الخ[2]

---

[1]- القُذّة: ريش السهم، يقال: حذو القذّة بالقذّة إذا تساويا في المقدار، مَثَل يضرب لشـــيئين يستويان ولا يتفاوتان أصلاً(النهاية).

[2]- إثبات الوصيّة ص١٧٨.

أنا محمّد

جيء بالإمام الجوادﷺ يوماً إلى مسجد رسول اللهﷺ بالمدينة، وهو صغير. جاءﷺ المنبر، ورقى منه درجة، ثم نطق فقال:

« أنا محمّد بن الرضا، أنا الجواد. أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلمُ بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون إليه. عِلمٌ منحنا به مِن قبل خالق الخلق أجمعين، وبَعد فناء السماوات والأرضين.»

«ولولا تظاهر أهل الباطل، ودولة أهل الضلال، ووثوب أهلِ الشكّ، لقلتُ قولاً تعجّب منه الأوّلون والآخرون.»

ثم وضعﷺ يده على فمه، وقال: «يا محمّد، أصمت كما صمت آباؤك من قبل.»

وفي رواية أخرى، قالﷺ:

«الحمد لله الذي خلقنا من نور بيده، واصطفانا من بريّته، وجعلنا أُمناء على خلقه ووحيه. معاشرَ الناس: أنا محمّد بن الرّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ سيّد العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء، وابن محمّد المصطفى، ففي مثلي يُشكّ؟!»

« وعلَيَّ وعلى أبويّ يُفترى!..والله إنّي لأعلم بهم أجمعين، وما هم إليه صائرون. أقوله حقّاً، وأظهره صدقاً وعلماً، ورثنا الله قبل الخلق أجمعين.»

ثمّ وضعﷺيده على فيه، وقال: «يا محمّد أُصمت كما صمتَ

آباؤك **(فاصبر كما صبر أُولوا العَزمِ من الرُّسُل ، ولا تستعجل لهم كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ ، فهل يُهلَك إلاّ القَومُ الفاسقون).»**[1]

وأترك الحديث للقارئ الكريم، ليتأمل في عمق مغزاه وآفاق دلالته على علوّ منزلة الإمام ﷺ ووسعة علمه وجلالة معرفته..

[1] - مدينة المعجز للبحراني ص٥١٥

«٤»

كناه وألقابه

لم يكن لإمامنا الجوادﷺ ثمّة لقب، أو كنية واحدة فحسب، بل كانت له كُنى وألقاب متعددة.

وقد بيّن الإمام الباقرﷺ حكمة ذلك حين قال: «إنّا لنكنّي أولادنـــا في صغرهم مخافة النّبز أن يلحق بهم.»[1]

فكانﷺ يكنّى بأبي جعفر الثاني، والسبب فيه أنّه تقدّم من آبائـــه أبـــو جعفر الأول: الباقرﷺ، فجاء باسمه وكنيته، فكنّي بـــ(الثاني).

وأيضاً كنّي بـــ(ابن الرضا)، حيث كان يقـــول بعـــض رواة حديثه: سمعتُ ابن الرضا أو: قال ابنُ الرضاﷺ.

ومشت ألقابه الكريمة، تعبّر عن محيّاه الكـــريم وســـيرته الزكيّـــة ،فلقّبﷺ بـــ(التقيّ)، كما عن الصدوق: (سُميّ محمّد بـــن علـــي: بـــ(التقيّ) لأنّه اتّقى الله عزّ وجل فوقاه الله شرَّ المأمون لّما دخل عليـــه بالليل سكران، فضربه بسيفه، حتى ظنّ أنّه قد قتله، فوقاه الله شرّه.)[2]

وقال الإربلي: له لقبان: القانع والمرتضى.[3]

وقال الطبرسي: ولقبه: التقي والمنتجب والجواد والمرتضى.[1]

---

[1]- الكافي ج١٩ ص٦ باب الأسماء والكنى.

[2] – معاني الأخبار ص٦٥ سيوافيك حديثه مفصّلاً في باب معجزاتهﷺ.

[3] – كشف الغمة ج٢ ص٣٤٣.

أقول: لا ينافي قول الإربلي بأن للإمام لقبين، وبين قول الطبرسي أنّ له أكثر من ذلك، لأنّه -أوّلاً-:إثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

وثانياً: من المحتمل أنّ تكون بعض ألقابه‹ع› جُعلت من قِبَل الناس. فكما أن الإمام الصادق‹ع› لُقّب بـ(شيخ الأئمة) مِن قِبَل أصحابه، فهكذا الإمام أبو جعفر‹ع›.

وبالإضافة إلى أن ابن شهر آشوب أكّد في المناقب كلّ هذه الألقاب فقال: ألقابه‹ع›: المختار، والمرتضى، والمتوكّل، والمتقي و الزكيّ، والتقيّ، والمنتحب، والقانع، والجواد، والعالم الربّاني.[2]

---

[1] - أعلام الورى ص٣٤٥.

[2] - المناقب لابن شهر اشوب ج٤ ص٣٧٩. وفي البحار: إنّ الناس كانوا يقولون فيه: أعجوبة أهل البيت، ونادرة الدهر، وبديع الزمان، وعيسى الثاني، وذو الكرامات، والمؤيّد بالمعجزات، وسلالة رسول الله، موادّه وإلهامه من الله. صاحب الخضرة، الفائق على المشائخ في الصغر، مَن خاتم الإمامة على كتفه، المبرّز على كافّة ذوي أهل الفضل، أفضل أهل الدنيا في الصبى، والكامل في السؤدد، والهدى والحكمة والعلم، هادي القضاة، سيّد الهداة، نور المهتدين، سراج المتعبّدين، مصباح المتهجّدين.(البحار ج٥٠،ص١٦)

«٥»

فضائله وأخلاقياته

١
جود الجواد عليه السلام

عندما يلقي القارئ نظرة إلى خُلُق الإمام الجواد عليه السلام، فإنّه، ومن دون ريب، يرى ، كما يرى لسائر الأئمة، أنّ أخلاقَ الله سبحانه قد تجلّت في أفعاله وأقواله وسلوكه..

فإنّها هي الأخلاق التي هي نتاج الإخلاص، والإخلاص زبدة العبوديّة، والعبوديّة حصيلة الإيمان..

وهي (الخُلق العظيم) الذي كانت تسابق أُولى أفراده أخراها.. فترى الغيرة تسارع إلى الغلبة..وتكرّ العفّة لتسبقها..لكن تحول دونهما العبوديّة..

ويجيء الورع والتقوى -هما الآخران-، ليحوزا القصَب، لولا الإخلاص..

إنّه الإمام الجواد، علم وحلم وسخاء و عطاء وتقوى وإباء...

وعندما نسرد (جود الجواد)، فإنّنا من زَبد البحر نسرد، و تمرة من (هَجَر) نجلب..

لأنّه إن ذُكر الكرم والسخاء والعطاء والزهد والإخلاص، كانﷺ أصل كلّ ذلك وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه..

الإمام الجوَاد، اسم على مسمّى، الجواد الكريم. أشبه الخَلق خُلقاً بآبائه الكرام..

لقد رأى موقفَه الناس، ولن يطوي التاريخ عن ذلك الموقف الكشح..حينما رأوا استقباله إيّاهم -في تلك الحفلة المهيبة التي أقيمت له في أيّام الحجّ-، (وكان قد حضرها من فقهاء العراق ومصر والحجاز جمعٌ غفير)، ليخرجﷺ إليهم بقميصين وعمامة ونعلين فحسب![1] ذلك كي يعلن -لهم ولغيرهم- أنّ زواجه من بنت الخليفة، لن يغيّر من وزهده وإخلاصه شيئاً، ولن يجرّه إلى حطام الدنيا مهما تزيّنت له..

لقد كانت بين يدَي الإمامﷺ أموال جمّة، تأتيه من كلّ حدب وصوب، من أخماس وحقوق وهدايا، ولكنّه ما كان ممن يكدّسها حبّاً منه لها، أو يجمعها حرصا وطمعاً -مثل سلاطين أيّامه-. فكلّما كانت تصل إليه من تلك الأموال شيئاً، يعطيها الفقراء والمساكين وأمثالهم، بل وأحياناً يعطي حتى لأعدائه!.

لأنّه لم يك ممن يبيت مبطاناً وحوله بطون غرثى وأكباد حرّى،

---

[1] - البحار ج٥٠ ص٤٩.

فقد ألقى حبل الدنيا على غاربها..كما كان آبائه.[1]

يقول بعض أصحابه:

جئتُ إلى أبي جعفريوم عيد، فشكوتُ إليه ضيق المعاش. فرفع المصلّى، وأخذ من التراب سبيكة من ذهب، فأعطانيها. فخرجتُ بها إلى السوق، فكانت ستة عشر مثقالاً!.[2]

ويقول (منخل بن عليّ): لقيتُ محمّد بن عليّ بـ(سرّ من رأى)، فسألته النفقة إلى بيت المقدس، فأعطاني مائة دينار. ثمّ قال لي:«غمّض عينيك.» فغمّضتهما.

ثمّ قال لي:«افتح.» فإذا أنا ببيت المقدس تحت القبّة!، فتحيّرتُ في ذلك.[3]

وعن (ابن حديد) قال: خرجتُ مع جماعة حُجّاجاً، فقُطع علينا الطريق. فلمّا دخلتُ المدينة، لقيتُ أبا جعفر في بعض الطريق، فأتيته إلى المترل، فأخبرته بالذي أصابنا، فأمر لي بكسوة، وأعطاني دنانير، وقال: «فرّقها على أصحابك على قدر ما ذهب.»

قال: فقسّمتُها بينهم فإذا هي على قدر ما ذهب منهم، لا أقلّ و لا

[1] - وعلى رأسهم أمير المؤمنين الذي كتب هذه الكلمات إلى بن حنيف واليه على البصرة (راجع نهج البلاغة ص٢٧٨).

[2] - البحار ج٥٠ ص٤٩.

[3] -إثبات الهداة: ج٣ ص٣٤٥، ونوادر المعجزات: ص١٨١،ح٥.

أكثر.[1]

وفي رواية أنّ رجلاً جاء إلى الإمام وقال: أعطني على قدر مروّتك. فقال‏ﷺ: «لا يسعني.»

فقال الرجل:على قدري.

فقال‏ﷺ: أمّا ذا، فنَعم. يا غلام، أعطه مائة دينار.»[2]

وعن الصفدي انه : كان يبعث إلى المدينة في كل عام بأكثر من ألف ألف درهم . وقال : وكان من الموصوفين بالسخاء ولذلك لقّب بالجواد .[3]

أقول: إنّ المؤمن قد يزكيّ ويتصدّق ببعض ما يملك، راجياً بذلك وجه الله سبحانه، وجنّة عدن، يطوف عليه فيها ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق..فيسعى بجهده، و لم ير بعد، لا جنّة ولا نارا، وإنما وَكّل أمره بالتصديق بالغيب.

أمّا الأئمة ﷺ، فإنّهم كانوا قد عرفوا الأمور حقّ المعرفة، فعلموا ما في الجنّة من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال.واطمأنّت قلوبهم بوعد الله، فزهدوا في هذه الدنيا حقّ الزهد، بعد أن اشترط الله ذلك

---

[1] – البحار : ج٥٠ ص٤١ .

[2] – حلية الأبرار: ج٤ ص٥٦٣.

[3] – الوافي بالوفيات ج ٤ ص ١٠٥.

عليهم،[1] وجادوا بكلّ غالٍ ونفيس، وأقرضوا الله قرضا حسنا ليس لـــه مثيل. كما قال الشاعر:

بحار جودٍ فلا غـــاروا ولا نضـــــبوا
بدورُ فخرٍ فلا غـــابوا و لا أفلـــو
إن يغضَبوا صفحوا أو يوزنوا رجحوا
أو يوهبوا سمحوا أو يحكموا عدلوا[2]

والإمام الجوادﷺ قام بما اشترط الله عليه.. زهد بما عنده لوجه الله لا شريك له..وذلك عملاً بوصيّة أبيهﷺ، في الرّسالة التي كتبهاﷺ إليه وهو في خراسان:

«فأسألك بحقّي عليك..إذا ركبتَ، فليكن معك ذهب وفضـــة، ثم لا يسألك أحدٌ إلا أعطيته. ومَن سألك من عمومتك أن تبّره، فـــلا تعطه أقلّ من خمسين ديناراً والكثير إليك. ومن سألك من عمّاتك، فلا تعطهما أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليـــك، إني أريـــد أن يرفعك الله، فأنفق ولا تخشَ من ذي العرش افتقاراً.»[3]

---

[1] -كما في دعاء الندبة : «.. الذين استخلصتّهم لنفسك ودينك، إذ أخترت لهم جزيـــل مـــا عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطتَ عليهم الزهدَ في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمتَ منهم الوفاء..»

[2] - المصباح للكفعمي ص٧٣٨.

[3] -البحار ج٥٠ ص١٠٢.

٢

علم الإمام الجواد ﷺ

إنّ ما أوحى به الله من الكتاب، فيه من العلوم والمعارف الكثير الكثير مما يفهمه الناس، والأكثر مما لا يفهمه ولايبلغه إلا الراسخون فيه، ممَن امتحن الله قلوبهم. لأنّه نور الله الذي يشعّ مِن مشكاة النبوّة.. إنّه ذكر الله الذي يرتفع من أفواه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذلك الذكر، ليسبّحوه فيها بالغدوّ والآصال..

وإنّ آل رسول اللهﷺ، كما القرآن يشير من طرف خفيّ، وكما الأحاديث تشير، عرفوا ما في كتاب الله تعالى: محكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، وخاصّه من عامّه، وكلّ ما أنزل الله في ذلك الثقل من معارف..

والأحاديث الواردة تبياناً لهذا الأمر كثيرة، منها:

عن أبي جعفر الباقر ﷺ، قال: «تفسير القرآن على سبعة أحرف، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، ذلك تعرفه

الأئمة.»[1]

- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه.»[2]
- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوّله إلى آخره، و إنّ عندنا من حلال الله وحرامه، ما يسعنا من كتمانه ما نستطيع أن نحدث به أحداً.»[3]
- وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نحن الراسخون في العلم، نحن نعلم تأويله.»[4]
- و روى العياشي عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: **(وما يَعلمُ تأويلَه إلا اللهُ والراسخون في العلم)**؟ قال عليه السلام: «يعني تأويل القرآن كلّه **(إلاّ الله والراسخون في العلم)**، فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين، قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه، فقال الذين لا يعلمون: ما نقول إذا لم نعلم تأويله؟ فأجابهم الله: **(يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا)**والقرآن له خاصّ وعامّ وناسخ

---

[1] - منهج البيان في تفسير القرآن ج١ ص٣١٠.

[2] - بصائر الدرجات: ص٢١٦ .

[3] - تفسير العياشي: ج١ ص١٦٤و أيضا في بصائر الدرجات: ص٢١٦.

[4] - البحار ج٢٣ ص١٩٨.

ومنسوخ ومتشابه ومحكم، فالراسخون في العلم يعلمونه.»[1]

- وروي عن أبي عبد الله الصادقﷺ قال: «ليس يخرج شيءٌ من عند الله عزّ وجلّ، حتى يبدأ برسول اللهﷺ، ثمّ بأمير المؤمنينﷺ، ثمّ بواحد بعد واحد، لكي لا يكون آخرُنا أعلمَ من أوّلنا»[2]

هذه رشحة من تلك الروايات الواردة بهذا المعنى، وكثير منها تؤكّد على أنهمﷺ يعلمون «ما كان وما هو كائن وما سيكون»[3] وأنّهم «يعلمون وقت وفاتهم»[4] و«عندهم علم الملائكة»[5] و«علم ما في الضمائر»[6] و «علم البلايا والمنايا»[7] وغيرها.

بالإضافة إلى أنّ خزائن علم الأنبياء كانت قد انتقلت إلى رسول اللهﷺ، وورثها أهل بيتهﷺ، كما جاء في حديث الإمام الصادقﷺ أنّه قال: «إنّ عندي الجفر الأبيض.» فسأله الراوي: وأيّ شيء فيه؟

فقال:« زبور داوود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصُحف إبراهيم،

---

[1] - تفسير العياشي: ج١ ص١٦٤

[2] - البحار ج٩٢ ص٩٢.

[3] - الكافي: ج١، كتاب الحجة باب ٤٨.

[4] - المصدر السابق.

[5] - كنز العمال: ج٥ / ص٦٠٤.

[6] - بصائر الدرجات: ج٥ باب ١٠ ص٢٢٩.

[7] - المصدر السابق.

والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أنّ فيه قرآنا. وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتّى أنّ فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة وربع الجلدة، وأرش الخدش.»[1]

* * *

من خصائص صفات الأئمّة التي فضّلهم الله، وميّزهم بها عن الناس، أنّهم لم يأخذوا علمهم من أيّ أحد، ولم ينتهلوا من عند أحد، سوى جدّهم، الذي معلّمه ومؤدّبه، ومربّيه هو عالم الغيب والشهادة.

فإنّه كما قال الإمام الجواد: «..نحن مِن علم الله علمنا، وعن الله نخبر.»[2]

وكما قال الإمام الصادقعليه السلام: «حديثي حديثُ أبي. و حديثُ أبي حديث جدّي. و حديث جدّي حديث الحسين. و حديث الحسين حديث الحسن. و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين. و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله. وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ.»[3]

أقول: إذا كانت أسفار التاريخ ومصادرها-سواء الشيعيّة منها أو السنيّة، وسواء كانت قلوب كاتبيها موالية للأئمّة أو معادية- لم تذكر -على الإطلاق- أنّ الأئمة، طلبوا علماً من أيّ أحد، سوى من يرجع علمهم إلى مَن (علّمَه شديدُ القوى)..وإذا كان الأئمّة ما هُدوا

---

[1] - البحار ج٢٦ ص٣٧.

[2] - البحار: ج٥٠ ص٨٣ ح٧.

[3] - الكافي ج١ ص٥٣.

بغيرهم، بل هم الذين هَدوا من اهتدى إلى الحق..أفهلاّ يكون فيه أشارة لذوي البصائر، أنّهم أولى الناس برسول الله وبسنّته؟ وأنّهم أعلم الناس بمصالح الناس ووضائفهم وفرائضهم؟ وبالخصوص أنّ علمهم-بما أنّه من الله-، لن تشوبه شائبة، فلا يغلّطه جهل، ولا تخيّمه غفلة، ولا يحوطه نسيان **(أفمن يهديَ إلى الحقّ أحقّ أن يُتبع، أمّن لا يهدّي إلا أن يُهدى)**[1]

لقد كانت أحاديثهم من الله، وعلومهم من الله، ومعارفهم من الله..

وعليه، فإنْ كان للنبي وصيّ، -وقد كان-، فهُم أوصياءه المرضيّون.

* * *

ثمّ إنّ أعلمّية الأئمّة(ع) ما خفيت على أحد، حتّى أعدائهم أدركوا ذلك واستيقنتها أنفسهم. ذلك لتكون الحجّة لله عليهم أقوى وأبلغ..

فاقوا النوابغ في العلوم جميعها حتى أقرّ بذلك الأعداءُ

فإنّ المأمون العباسي، وإن قتل ابن رسول الله.. لكنّه، هو واللائذين به، كانوا يعرفون منزلة الإمام الجواد(ع) في العلم والمعرفة، ويعترفون بها(ع)، على رغم عدائهم له، وبغضهم عليه(ع).

[1] - يونس\٣٥.

يروي (الراوندي) أنّه (لما أراد المأمون أن يزوّج ابنته أمَّ الفضل أبا جعفر، بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم واستنكروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا ﷺمن ولاية العهد، فخاضوا في ذلك وكلّمه أهل بيته الأدنون، فقالوا: ننشدك الله أن لا تقيم على هذا الأمر الذي عزمتَ عليه من تزويج ابن الرضا، فإنّا نخاف أن يخرج به عنّا أمراً قد ملّكنا الله عزّ وجلّ من تزويج ابن الرضاﷺ و يترع منا عزّاً قد ألبسناه الله. وقد عرفتَ ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم. وقد كنّا في وهلةٍ من عملك مع الرضا ما عملت، فكفانا الله الهمّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا، واصرف رأيك عن بن الرضاﷺ واعدل إلى من تراه من أهل بيتك أصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب، فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم، لكانوا أولى منكم. وأمّا ما كان يفعله ما كان قبلي، فقد كان قاطعاً للرحم، و أعوذ بالله من ذلك. فوالله ما ندمتُ على ما كان منّي مع الرضا ﷺولقد سألتُه أن يقوم بالأمر وانزعه من نفسي، فأبى. وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً. وأما أبو جعفر ﷺ، فقد اخترتُه لتبريزه على أهل العلم والفضل من صغر سنّه. والأعجوبة فيه بذلك. و أنا ارجوا أن يظهر للناس ما قد عرفتُه منه فيعلمون أنّ ما رأيته حقّاً.

فقالوا له: إنّ هذا الفتى، وإنْ راقَك منه هديه، فإنّه صبيّ لا

معرفة له ولا فقه. فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم، إني أعرّف هذا الفتى منكم، وإنّ أهل البيت علمهم من الله تعالى إلهاميّ، لم يزل آبائه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة في حدّ الكمال. فإن شئتم، فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكمَ به ما وصفتُ لكم من حاله.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه. فخلّ بيننا وبينه لننصب مَن يسأله بحضرتك من شيء من فقه الشريعة. فإن أصاب في الجواب، لم يكن لنا الاعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه. و إن عجز عن ذلك، فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة (يحيى بن أكثم)[1] على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك.

وسألوا المأمون أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك. فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه. وحضر معهم (يحيى بن أكثم) والمأمون، وأمر أن يفرش لأبي جعفرعليه السلام دست وتجعل فيه مسورتان.

فخرج أبو جعفرعليه السلام، فجلس بين المسورتين وجلس (يحيى بن

---

[1] - يحيى بن أكثم التميمي ، قاضي القضاة ، من علماء العامّة، حرّم المتعة، وتسبب في تحريم المأمون إيّاها.

أكثم) بين يديه، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر ﷺ، فقال (يحيى بن أكثم) للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفرﷺ عن مسألة؟

فقال له المأمون: أستأذنه في ذلك.

فأقبل يحيى بن أكثم، فقال له: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال ﷺ:«سَل إن شئت»

فقال يحيى: ما تقول جُعلتُ فداك، في مُحرِم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر ﷺ: «قتله في حِلٍّ أو حرم؟

مُحلاً أو محرماً؟

عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟

مبتدأ بالقتل أو معيداً؟

من ذوات الطير كان الصيد أو غيرها؟

من صغار الصيد أم من كبارها؟

مُصرّاً على ما فعل أو نادماً؟

في الليل كان قتل الصيد أو في النهار؟

محرماً كان بالعمرة إذ قتله، أو بالحجّ ؟»

فتحيّر (يحيى ابن أكثم)، وبان في وجهه العجز والانقطاع! وتلجلج، حتى عرف أهل المجلس عجزه.

فقال المأمون: الحمدُ لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي.

ثم نظر إلى اهل بيته، فقال لهم: أَعَرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

أعلمتم أنّ علم أهل هذا البيت إلهاميٌّ من الله تعالى؟.[1]

فلمّا تفرق أكثر الناس، قال المأمون: يا أبا جعفر، إنْ رأيتَ أن تعرّفنا ما يجب على كلّ صنف مِن هذه الأصناف في قتل الصيد؟

فقال ﷺ:

«نعم، إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ، وكان الصيد من ذوات الطير، من كبارها، فعليه شاة.

فإنْ أصابه في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً.

وإنْ قتلَ فرخاً في الحلّ، فعليه حمل قد فطم فليس عليه القيمة لأنه ليس في الحرم.

وإذا قتله في الحرم، فعليه الحمل وقيمة الفرخ.

وإن كان من الوحش، فعليه في حمار الوحش بقرة.

وإن كان نعامة، فعليه بدنة.

فإنْ لم يقدر، فإطعام ستين مسكيناً.

فإنْ لم يقدر، فليصم ثمانية عشر يوماً.

وإن كان بقرة فعليه بقرة.

فإن لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكيناً.

فإنْ لم يقدر فليصم تسعة أيام.

وإنْ كان ظبياً، فعليه شاة.

---

[1] - تحف العقول ص ٣٣٤.

فإنْ لم يقدر فليطعم عشرة مساكين.

فإنْ لم يجد، فليصم ثلاثة أيام.

وإنْ أصابه في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً، هدياً بالغ الكعبة حقّاً واجباً أنْ ينحزه إن كان في حجّ بمنى، حيث ينحر الناس.

وإن كان في عمرة، ينحزه بمكّة في فناء الكعبة، ويتصدّق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفاً.

وكذلك، إذا أصاب أرنباً أو ثعلباً، فعليه درهم يتصدق به، ودرهم يشتري علفاً لحمام الحرام.

وفي الفرخ نصف درهم، وفي البيضة ربع درهم.

وكلّما أتى به المحرم بجهالة أو خطأ فلا شيء عليه إلا الصيد فإنّ عليه فيه الفداء بجهالة كان أم بعلم، بخطأ كان أم بعمد، و كلّما أتى به العبد فكفّارته على صاحبه مثل ما يلزم صاحبه.

وكلّما أتى به الصغير الذي ليس ببالغ فلا شي عليه. فإنْ عاد، فهو ممن ينتقم الله منه.

وإن دلّ على الصيد وهو محرم وقتل الصيد، فعليه الفداء، والمصرّ عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة في الآخرة،

والنادم لا شيء عليه بعد الفداء في الآخرة.

وإن أصابه ليلاً في أو كارها خطأ فلا شي عليه إلا أن يتصيد. فإن تصيد بليل أو نهار، فعليه فيه الفداء. والمحرم للحجّ ينحز بمكة.»

فأمرَ المأمون أن يكتب ذلك عن أبي جعفر عليه السلام. ثم التفت إلى أهل

بيته الذين أنكروا تزويجه فقال: هل فيكم من يجيب هذا الجواب؟

قالوا: لا والله ولا القاضي يا أمير المؤمنين. كنتَ أعلم به منّا.

فقال: ويحكم، أما علمتم أنّ أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا الخلق ؟

أما علمتم أنّ رسول الله ﷺبايع الحسن والحسين وهما صبيّان و لم يبايع غيرهما طفلين ؟

أو لم تعلوا أنّ أباهم عليّاً آمن برسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين، فقبِل الله ورسوله إيمانه، و لم يقبل من طفل غيره، ولا دعا رسول الله ﷺ طفلاً غيره؟

أو لم تعلموا أنها ذريّة بعضها من بعض، فجرى لآخرهم ما يجري لأوّلهم؟..)[1]

* * *

سأل (يحيى بنُ أكثم) الإمامَ الجواد أكثر من مسألة، في مجالس شتّى. وما أراد منها إلا الإنقاص من عظمته عليه السلام أمام المأمون. فكان يرجوا لو أنّ أبا جعفر عليه السلام يحتار في جواب إحداها. ولكن كان رجائه من دون جدوى، إذ أنّ الإمام عليه السلام كان يجيبه بما لم يتوقّع، لا هو ولا المأمون، و لا أيّ أحد ممن كان يحضر، فأفحمه وردّ كيده إلى نحره، و(**بُهت الذي كفرَ**)[2]..

---

[1] - أئمتنا: ج٢ ص١٨٢.

[2] - البقرة\٢٥٨.

- وكان يحاول أحياناً إحراج الإمام‍ بالسؤال عن مسألة الخلافة والخلفاء. فقد سأل ذات يوم:

ما تقول يا بن رسول الله في الخَبر الذي روي أنّ جبرائيل نزل على رسول الله ﷺ وقال: يا محمّد، إنّ الله يقرئك السلام، ويقول لك: سَل أبا بكر: هل هو راضٍ عنّي، فإنّي راضٍ عنه.؟

فقال الإمام الجواد‍:«.. يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول اللهﷺفي حجّة الوداع: «قد كثرتْ عليّ الكذّابة وستكثر. فمَن كذب عليّ متعمّداً، فليتبوّأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به. وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به»، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: **(ولقد خلقنا الإنسان ونَعلمُ ما توسوس به نفْسُهُ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)**[1] فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه، حتّى سأل عن مكنون سرّه؟! هذا مستحيل في العقول.»

ثمّ قال يحيى ابن أكثم: وقد روي أنّ مَثَل أبي بكر وعمر في الأرض، كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء.

فقال‍: «وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه، لأنّ جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما

---

[1] -سورة ق/١٦

قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيّامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما.»

قال يحيى: وقد روي أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة.

فقال ﷺ: «وهذا محال أيضاً، لأنّ أهل الجنّة كلّهم شباب، ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنوا أميّة لمضادّة الخبر الذي قال فيه رسول الله ﷺ في الحسن والحسين ﷺ بأنّهما سيّد شباب أهل الجنّة.»

قال يحيى: وروي أنّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنّة.

فقال ﷺ: «هذا أيضاً محال، لأنّ في الجنّة ملائكة الله المقرّبين، وآدم ومحمّداً وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء بأنواره حتى تضيء بنور عمر؟!»

قال يحيى: وروي أنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال ﷺ: «..إنّ أبا بكر أفضل من عمر، وقد قال على رأس المنبر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدّدوني.»

فقال يحيى: قد روي أنّ النبيّ ﷺ قال: لو لم أُبعث لبعث عمر.

فقال ﷺ: «كتاب الله أصدق من هذا الحديث يقول الله في كتابه: **(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح)**[1] فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يستبدل ميثاقه، وكان الأنبياء لم يشركوا طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك بالله، وقال رسول الله ﷺ:

---

[1] -الأحزاب/٧

نُبِّئتُ وآدم بين الروح والجسد»

قال يحيى:وقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال:ما احتبس الوحي عنّي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطّاب.

فقال عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، لأنّه لا يجوز أن يشكّ النبيّ في نبوّته، قال الله تعالى: **(يصطفي من الملائكة رُسُلاً ومن الناس)**[1] فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة ممن اصطفاه الله إلى مَن أشرك به؟!»

قال يحيى: روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لو نزل العذاب، لما نجى منه إلا عمر.

فقال عليه السلام: «وهذا محال أيضاً، إنّ الله تعالى يقول:**(وما كان الله لِيعذّبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون)**[2] فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وما داموا يستغفرون الله تعالى. »[3]

* * *

عن (عليّ بن إبراهيم)، عن أبيه قال: استأذن على أبي جعفر عليه السلام قوم من أهل النواحي من الشيعة، فأذن لهم. فدخلوا، فسألوه عليه السلام في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب! وله عليه السلام عشرة سنين.[4]

هم أبحر العلم التي ما شانها كدر و مجراها من الرّحمنِ

---

[1] -الحج/٧٥

[2] -الأنفال/٣٣

[3] - البحر ج٥٠ ص٨٠.

[4] - الكافي ج١ ص٤٩٦ ح٧، والبحار ج٦٠ ص٩٣ ح٦.

فضلٌ أقرّ به الحسود وسؤدد صدعت به آي من القرآن[1]

* * *

اشتبكت الأمور بعد مقتل الإمام الرضا عليه السلام. ولكنّ الإمام الجواد عليه السلام، استطاع أن يخمد فورة الفتنة، ويهدي الضالين إلى الرّشد ببركة علمه المبارك. وإليك الشاهد من البحار:

(لمّا قُبض الرّضا عليه السلام، كان سنُّ أبي جعفر عليه السلام نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمةُ من الناس ببغداد وفي الأمصار. واجتمع (الريان بن الصلت)، و(صفوان بن يحيى)، و(محمّد بن حكيم)، و(عبد الرحمن بن الحجاج)، و(يونس بن عبد الرحمن)، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاهم في دار (عبد الرّحمن بن الحجّاج) في (بركة زلول) يبكون ويتوجعون من المصيبة. فقال لهم (يونس بن عبد الرحمن): دَعوا البكاء. مَن لهذا الأمر -أي الإمامة-؟ وإلى مَن نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا -يعني أبا جعفر عليه السلام-؟

فقام إليه (الرّيان بن الصلت)، ووضع يده في حلقه، ولم يزل يلطمه، ويقول له: أنت تُظهِر الإيمان لنا، وتبطن الشكّ والشرك! إنْ كان أمره من الله جلّ وعلا، فلو أنّه كان ابن يومٍ واحدٍ لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه. وإن لم يكن من عند الله، فلو عَمّر ألف سنة، فهو واحدٌ من الناس، هذا مما ينبغي أن يفكّر فيه.

---

[1] - المجالس السَنيّة ج٢ ص٤٤٨

فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه، وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً. فخرجوا إلى الحجّ وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام فلمّا وافوا، أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنّها كانت فارغة، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم (عبد الله بن موسى) فجلس في صدر المجلس وقام مناد وقال: هذا ابن رسول الله ﷺ، فمَن أراد السؤال فليسأله.

فسُئل عن أشياء، أجاب عنها بغير الواجب. فوَرَد على الشيعة ما حيّرهم وغمّهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا وهمّوا بالانصراف، وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل(يصلح) لجواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان، ومن الجواب بغير الواجب.

ففُتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق، وقال: هذا أبو جعفر عليه السلام.

فقاموا إليه بأجمعهم، واستقبلوه وسلّموا عليه، فدخل صلوات الله عليه، وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين، وفي رجليه نعلان. وجلس، وأمسك الناسُ كلّهم. فقام صاحبُ المسألة فسأله عن مسائله، فأجاب عنها بالحقّ. ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له:

إنّ عمّك عبد الله أفتى بكيت وكيت.

فقال عليه السلام: «لا إله إلا الله، يا عمّ، إنّه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك: لم تفتي عبادي بما لم تعلم، وفي الأمّة مَن هو أعلم

منك.»[1]

* * *

وقال يوماً (فرجُ الزغجي)[2] للإمام الجوادﷺ مستهزئاً: إنّ شيعتك تدّعي أنّك تعلم كلّ ماء في دجلة و وزنه. -وكانا في ذلك الوقت واقفين على شاطئ دجلة-.

فقال الإمامﷺ: «أيقدر الله تعالى أن يفوّض علمَ ذلك إلى بعوضة من خلقِه أم لا؟»

قال الرجل: نعم يقدر.

فقال الإمامﷺ: «أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه.»[3]

* * *

يقول (أبو الصلت الهروي): حضرتُ مجلس الإمام محمّد بن علي بن موسى الرضا، وعنده جماعة مِن الشيعة وغيرهم.

فقام إليهﷺ رجل، وقال يا سيدي، جُعلتُ فداك.

فقالﷺ: «لا يقصّران. اجلس.»

ثمّ قام إليه آخر، وقال: يا مولاي، جُعلتُ فداك.

---

[1] - البحار ج٥٠ ص١٠٠.

[2] - في نسخة: عمر بن فرج الرُخجي، والي مكة والمدينة، اشتهر بالنصب والبغض لعليّ بن أبي طالبﷺ وأهل البيت عليهم السلام.(قادتنا ج٧ ص٣٤)

[3] - البحار ج٥٠ ص١٠٠.

فقال عليه السلام: «إنْ لم تجد أحداً، فأرم بها في الماء، فإنّها تصل إليه.»

قال-أبو الصلت-: فجلس الرجل. فلمّا انصرف مَن كان في المجلس، قلتُ له عليه السلام: جُعلتُ فداك يا سيّدي، رأيت عجبا!!

قال عليه السلام: «نعم، تسألني عن الرجلين؟»

قلت: نَعم يا سيّدي!

فقال عليه السلام: «أمّا الأوّل، فإنّه قام يسألني عن الملاّح، يقصّر في السفينة؟، فقلتُ: لا، لأنّ السفينة بمنزلة بيته، ليس بخارج منها.»

«وأمّا الآخر، فإنّه قام يسألني عن الزكاة، إن لم يجد أحداً من شيعتنا، فإلى مَن يدفعها؟ قلت له: إن لم تجد أحداً من الشيعة، فارمِ بها في الماء، فإنّها تصل إلى أهلها.» [1]

* * *

في التوحيد

هنالك بعض الأحاديث وردت عن الإمام الجواد عليه السلام حول قضايا التوحيد وما ينبغي أو يجوز للربّ أن يقال أو لا يقال. وكان من بينها:

- عن (الحسين ابن سعيد) قال: سُئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يقال لله: شيء؟

فقال عليه السلام: «نَعم، يخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل وحدّ

---

[1] - مستدرك الوسائل: ج٦ ص٥٣٥ ح٧٤٤٦.

التشبيه..»[1]

■ وسأل (أبو هاشم الجعفري)[2] الإمامَ عليه السلام يوماً: ما معنى الواحد؟ فأجابه الإمام عليه السلام:

«الذي اجتمعتْ الألسُن عليه بالتوحيد،كما قال الله عزّ وجلّ: **(ولـئن سألتَهم من خلق السَماوات والأرض ليقولنّ الله)**.»[3]

■ وسأل (أبو هشام) عن قوله تعالى: **(لا تدركه الأبصار وهـو يدرك الأبصار)**؟

فقال عليه السلام: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون. أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، و لم تدرك ببصرك. فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟..»[4]

وفي هذه الكلمات القصيرة -التي هي عين الحقّ- ، يبيّن الإمـام أنّ الله سبحانه، أعلا وأجلّ وفوق أوهام المتوهّمين في إدراكات الأفئدة والقلوب، فضلاً عن سائر الحواس!..

ولا يخفى أنّ في حديثه عليه السلام السابق ردّ صريح على أقاويل بعض

---

[1] - التوحيد ص١٦٤

[2] - داوود بن قاسم الجعفري، أدرك الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر (راجع قاموس الرحال للمحقق التستري ج١٠ ص٢١٣)، وكان من الفقهاء الأجلاء، وتجاوز عمره المائة سنة.

[3] - التوحيد ص٤٤

[4] - التوحيد ص٦٤.

مَن سبرَ أغواراً ليست من الصواب في شيء، ولا من الحقّ في مكـــان، فيقول قائلهم: (وكلّما يترآى في عالم الوجود إنّه غير الواجب المعبـــود، إنّما هو من ظهور ذاته وتجليّات صفاته، التي هـــي في الحقيقـــة عـــين ذاته..فكلّ ما تدركه، فهو وجود الحقّ في أعيان الممكنات.)[1]

أو كقول القائل: (فكلُّ ما تدركه، فهو وجود الحق-تعالى- في أعيـــان الممكنات. فالعالَم متَوهَّمٌ ما لَه وجود حقيقي.)![2]

ثمّ وفي كلام الإمام: «يخرجه..من حدّ التشبيه» تحـــذير لمـــن شبهوا الخالق بالمخلوق، ومن الذين (جعلواله من عباده جزءاً)، كي لا تتدنّس القلوب بإدعاءات أمثال ابن العربيّ، الذي يقول:(سبحان مَـــن أظهر الأشياء وهو عينها)![3]

أو يقول: (هو الذي يظهر بصور البسائط، ثمّ بصوَر المركّبات، فـــيظنّ المحجوب أنّها مغايرة بحقائقها، وما يعلم إنّها أمور متوهّمة، ولا وجـــود إلاّ هو.)[4] سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيرا.

ومِن هنا أقول:

ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقر‹ع› قال: «..ليذهب الناس

---

[1] - الأسفار ج١ ص١١٧.

[2] - فصوص الحكم ص٢٣٤

[3] - الفتوحات المكيّة ج٢ ص٤٥٩، وفي فصوص الحكم ص٨٠ شبهه

[4] - الفصوص ص١٦٣

حيث شاءوا، فوالله ليس الأمر إلاّ مِن هاهنا-وأشار بيده إلى بيته-.»[1]

وقال(ع) أيضا:«ليس عند أحدٍ من الناس حقّ ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حقّ، إلا ما خرجَ منّا أهل البيت.»[2]

وقال(ع):«كلُّ ما لَم يخرج مِن هذا البيت فهو باطل.»[3]

ولأنّ الأئمّة هم أصل كلّ علم[4]، وأصل كلّ صواب.. فهل يجوز الركون إلى غير بابهم، الذي هو السبيل إلى النجاة، والمسلك الأمثل..وخصوصاً في باب توحيد الله ومعرفته؟!

والأحاديث صريحة أنّ مَن طلب العِلم والهداية من غير القرآن أضلّه الله[5]، ومَن طلب علوم القرآن من غير العترة الطاهرة فقد هلك وأهلك!.[6]

ثمّ كيف نهتدي إلى الصراط المستقيم عن طريق غيرهم، وهم

---

[1] - الكافي ج١ ص٣٩٩.

[2] - الكافي ج١ ص٣٩٩، وفي البحار (ج٢ ص١٧٩)بنفس المضمون.

[3] - الفصول المهمّة ص١٥٠.

[4] - ورد في الحديث عن أمير المؤمنين:« العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنّة متّبعة، وفريضة عادلة، وملاكهنّ أمرنا.»(مستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٤٥)، وقد ورد عن رسول الله (ص) أنّه قال: «أنا ميزان العلم، وعليٌّ كفتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، والأئمة من بعده عموده، يوزن فيه أعمال المحبّين لنا والمبغضين». (كنز العمّال ج٥ ص٦٠٤)

[5] - راجع مستدرك سفينة البحار ج٨ ص٣٠٤.

[6] - المصدر السابق.

الصراط المستقيم؟[1]

وكيف نرجوا النجاة بإتباع مَن ناواهم، وهم سفن النجاة؟[2]

وكيف نستمسك بعروة سواهم، وهم العروة الوثقى ؟[3]

(اتبعوا ما أُنزل إليكم مِن ربّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)[4]

فمَن أولئك الذين جعلهم الله قادة لنا ومنقذين، وأمرنا بإتباعهم وولايتهم وطاعتهم، ومَن هم سرّ الله، وباب الله، وسفراء الله، و ضـــياء الله، وسناء الله، وكلمات الله، ورحمة الله..؟

هل منهم ابن العربيّ القائل:

عند الخلائق في الإلـــه عـــقائد وأنا اعتقدتُ جميع ما اعتقدوه[5]

أو هل منهم أمثال المفتري القائل: سبحاني سبحاني، ما في الجبّة إلا الله!!

أمَ أنّهم العترة المصفاة من كلّ دنس ورجس، أهل بيت رســـول

---

[1] - عن عليّ بن الحسين زين العابدين قال: «نحن باب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، وموضع سرّه.» البحار ج٢٤ ص١٢.

[2] - الغيبة للنعماني ص٢٩.

[3] - عن أبي عبد الله الصادق(ع) قال:«..نحن صفوة الله، ونحن خيرة الله ،ونحـــن مســـتودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله..(إلى أن قال):ونحن العـــروة الوثقى،وبنـــا فـــتح الله، وبنـــا يختم..»البحار ج٢٦ ص٢٥٩.

[4] -الأعراف/٣

[5] -فهو مؤمن وملحد، ومشرك ومُوحّد، ويهودي ونصرانيّ ومسلم وبوذي في آن واحد!

ويقول أيضا: لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة فمرعىً لغزلان ودير لرهبانِ

وبيت لأوثان وكعبة طائـــف وألواح توراة ومصف قرآن

راجع كتاب (صفحات) للشيخ مغنية.

الله الذين خلّفهم للأمّة من بعده، وجعل التمسّك بهم وبالقرآن فريضة ورشدا، والتخلّف عنهم وعن القرآن غيّاً وتيهاً وضلالة؟.

إذن..هم السبيل ولا غيرهم، وهم الصراط ولا غيرهم، وهم الرشاد ولا غيرهم، فالحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم..حتى قال الإمام الباقر لرجلين: «شرِّقا وغرِّبا، فلن تجدا عِلماً صحيحاً إلاّ خرج من عندنا أهل البيت.» [1]

و لقد أشاد مَن قال:

إليكم،و إلا لا تُشَدُّ الركائبُ ومنكم،وإلا لا تَصحّ المواهبُ

وفيكم، وإلا فالحديث مزَخرَفٌ وعنكم، وإلا فالمحدِّث كاذبُ

* * *

وأختم هذا الباب بحديث عن الإمام الجوادعليه السلام، يعرّفنا عن مدى علم الأئمّة الأطهار من صغر سنّهم:

عن (بنان بن نافع)، قال: دخل علينا محمّد بن عليّعليه السلام. فلمّا بصر بي، قال لي: «يا بن نافع، ألا أحدّثك بحديث؟ إنّا معاشر الأئمّة، إذا حَمَلته أمُّه، يسمع الصوت من بطن أمّه [2] أربعين يوماً.فإذا أتى له في بطن أمّه أربعة أشهر، رفع الله تعالى له أعلام الأرض، فقرّب له ما بعُد عنه، حتّى

---

[1] – البحار ج٢ ص٩٢، مستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٧٤.

[2] – في مدينة المعاجز: في بطن، كذلك في البحار.

الله الذين خلّفهم للأمّة من بعده، وجعل التمسّك بهم وبالقرآن فريضة ورشدا، والتخلّف عنهم وعن القرآن غيّاً وتيهاً وضلالة؟.

إذن..هم السبيل ولا غيرهم، وهم الصراط ولا غيرهم، وهم الرشاد ولا غيرهم، فالحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم..حتى قال الإمام الباقر لرجلين: «شرّقا وغرّبا، فلن تجدا عِلماً صحيحاً إلاّ خرج من عندنا أهل البيت.» [1]

و لقد أشاد مَن قال:

إليكم،و إلا لا تُشَّد الركائبُ ومنكم،وإلا لا تَصحّ المواهبُ

وفيكم، وإلا فالحديث مزَخرَفٌ وعنكم، وإلا فالمحدِّث كاذبُ

* * *

وأختم هذا الباب بحديث عن الإمام الجوادﷺ، يعرّفنا عن مدى علم الأئمّة الأطهار من صغر سنّهم:

عن (بنان بن نافع)، قال: دخل علينا محمّد بن عليّﷺ. فلمّا بصر بي، قال لي: «يا بن نافع، ألا أحدّثك بحديث؟ إنّا معاشر الأئمّة، إذا حَمَلته أمُّه، يسمع الصوت من بطن أمّه [2] أربعين يوماً.فإذا أتى له في بطن أمّه أربعة أشهر، رفع الله تعالى له أعلام الأرض، فقرّب له ما بعُد عنه، حتّى

---

[1] - البحار ج٢ ص٩٢، مستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٧٤.

[2] - في مدينة المعاجز: في بطن، كذلك في البحار.

لا يعزب عنه حلول قطرة غيث نافعة ولا ضارة.»..

يقول بنان: ثمّ دخل علينا أبو الحسن-الرضا-ﷺ، فقال لي:« يــا بــن نافع، سلّم، وأذعن له بالطاعة، فروحُه روحي، وروحي روحُ رســولِ اللهﷺ .»[1]

[1] -المناقب لابن شهر آشوب:ج٤ ص٣٨٨، وفي البحار:ج٥٠ ص٥٥ ح٣١.

٣

معاجز الإمام الجوادعليه السلام

المعجزة هى من دلائل النبوّة والإمامة، وهي أداء عمل يفوق مقدُرة الناس، ويعجزوا عن فعل مثلها. يقول الإمام جعفر الصادقعليه السلام: «المعجزة علامة لله، لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه، ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب.»[١]

وقد كانت للمعجزات الأثر الكبير في تبيين الحق الناصع، وجلب العقول نحوه، للذين هم به يهتدون..

وأمّا مَن ختم الله على أفئدتهم، فكان لها، أيضاً الأثر الكبير في إقامة الحجةّ عليهم.

فقدكان في إحياء عيسى بن مريم للموتى، وفي تسخير الرياح لسليمان، وفي تليين الحديد لداود، وفي شقّ القمر لرسول الله، وفي ردّ الشمس لأمير المؤمنين..الحجّة البالغة، ليحيى مَن حيّ عن بيّنة، ويهلك

---

[١] - البحار ج١١ ص٧١.

مَن يهلك عن بيِّنة، ولئلاّ يكون للناس حجّة بعد الرسل والأئمّة عليهم السلام.

والإمام الجواد ﷺ أيضاً كانت له -إتماماً للحجّـــة، وتصـــديقاً لصدقه، وتبييناً لمقامه-، من تلك الكرامات والمعاجز، الشيء الكثير..

وبالذات حيث أنّه ﷺ أُلبس مقاليد الإمامة، وهو صغير السن- كما أسلفنا فيه الذكر -، فإنّه كان بحاجة إلى أن يبرهن للناس إمامته كي يشقّ شكوكهم باليقين، ويجلي ضباب ترددهم بالإطمئنان. ولهذا فاقت معاجزه ﷺ السبعين!

ولو أردتُ جمع شوارد الباب هذا، لطال الحديث. وإنّما أكتفي بـــذكر بعض ما ورد:

- يقول (محمّد بن يحيى): لقيتُ محمّد بن عليّ ﷺ علـــى شـــطّ الدجلة، فالتقى له طرفاها حتّى عبر!. ورأيتُه بـــ(الأنبار)[1]، علـــى الفرات، فعل مثل ذلك.[2]
- كان في عهد الإمام الجواد ﷺ رجل يقال له (شاذويه). أتـــى إلى الإمام يوماً، وكانت زوجته حامل، قال له الإمام ﷺ: «إنّ لك أهلاً حاملاً. وعن قريب تلد غلاماً، وإنّهـــا لم تمـــت في ذلـــك الغلام..»

فأفاقت تلك المرأة عن مدّة قصيرة، وولدت غلاماً ميّتاً!.

---

[1] - الأنبار: مدينة على الفرات، غربيّ بغداد(القطرة ج١ ص٤٢٢).

[2] - دلائل الإمامة: ص٣٩٨ ح٩، عنه مدينة المعاجز: ج٧ ص٣١٩ ح٤٦.

قال (محمّد بن سنان) للإمام: يا سيّدي، تسأل الله أن يحييه؟

فقال الإمامعليه السلام:«اللهم إنّك عالم بسرائر عبادك، فإنّ (شاذويه) قد أحبّ أن يرى فضلك، فأحيي له أنت الغلام.»

يقول شاذويه: فأسرعتُ إلى منزلي، فتلقتني البشارة أنّ ابني قد عاش!.[1]

■ ويقول (يحيى بن أكثم): بينا أنا ذات يوم دخلتُ أطوف بقبر رسول اللهصلى الله عليه وآله، فرأيت محمّد بن علي الرضاعليه السلام يطوف به،[2] فناظرتُه في مسائل عندي، فأخرجَها إليّ. فقلتُ له: والله إني أريد أن أسألك مسألة واحدة، وإنّي والله لأستحي من ذلك.

فقالعليه السلام لي:«أنا أخبرك قبل أن تسألني. تسألني عن الإمام.»

فقلت: هو والله هذا.

فقالعليه السلام: «أنا هو.» فقلت: علامة؟

فكان في يدهعليه السلام عصا، فنطَقَتْ العصا فقالت: «إنّه مولاي، إمامُ هذا الزّمان وهو الحجّة.»[3]

أقول: الظاهر أنّ هذه العصا هي عصا موسىعليه السلام التي فلق بها البحار، وانقلبت حيّة تسعى. فقد قال الإمام الباقرعليه السلام :«كانت

---

[1] - الهداية الكبرى ص٣٠٦.

[2] - قال العلامة المجلسي(قدس) معلقاً: لعلّ المراد من (يطوف به) يعني أنّهعليه السلام يمرّ به إلى قبر فاطمةعليها السلام و لا يطوف كما يطوف حول الكعبة. (البحار ج٥٠ ص٦٨.)

[3] - الكافي ج١ ص٣٥٣ .

عصى موسى لآدم، فصارت إلى شعيب، ثمّ صارت إلى موسى بن عمران. وإنّها لَعندنا. وإنّ عهدي بها آنفاً وإنّها لتنطق إذا استنطقت..»[1]

- عن حكيمة بنت الإمام الرضاﷺ قالت:

لما توفيّ أخي محمّد بن الرضا ﷺ، صرتُ يوماً إلى امرأته أمّ الفضل بسبب احتجتُ إليها فيه.

فبينما نحن نتذاكر فضل محمّد -تعني الإمام الجوادﷺ- وكرمه، وما أعطاه الله من العلم والحكمة، إذ قالت امرأته أمُّ الفضل: يا حكيمة، أخبرُك عن أبي جعفر بن الرضاﷺ بأعجوبةٍ لم يسمع أحدٌ بمثلها؟

قلت: وما ذاك؟

قالت: إنّهﷺ كان ربّما أغارني مرّة بجارية، ومرّة يتزوج. فكنتُ أشكوه إلى المأمون، فيقول: يا بنيّة، احتملي فإنّه ابن رسول اللهﷺ.

فبينما أنا ذات ليلة جالسة، إذ أتت امرأة، فقلتُ لها: من أنتِ؟

فكأنها قضيب (بان)[2] أو غصن (خيزران)[3] قالت: أنا زوجة لأبي جعفر.

قلت: مَن أبو جعفر؟

قالت: محمّد بن الرضاﷺ، وأنا امرأة من وُلد عمّار بن ياسر.

---

[1] - إكمال الدين للصدوق ج٢ باب٥٨ حديث ٢٧.

[2] - البان: جمع (بانه) وهو شجر سبط القوام لين، ورقه كورق الصفصاف.

[3] - خيزران (بضمّ الزاء) شجر هندي وهو عروق ممتدة في الارض (كما في البحار ج٥٠ ص٦٩).

قالت أمّ الفضل: فدخلني من الغيرة ما لا أقدر على احتمالــه. وهممتّ أن أخرج وأسيح في البلاد، وكان الشيطان يحملني إلى الإساءة بها. فكظمتّ غيظي وأحسنتُ رفدها وكسوتها.

فلمّا خرَجَت عنّي، لم أتمالك أن نهضتُ، ودخلتُ على أبي-المــأمون-، فأخبرتُه بذلك. وقد كان ثملاً[1] من الشراب، وقد مضــى مــن الليــل ساعات. فأخبرتُه بحالي، وقلتُ له: يشتمني – تعني الإمام- و يشــتمك ويشتم العبّاس وولده. وقلتُ ما لم يكن.

تقول: فغاظه ذلك منّي جدّاً، و لم يملك نفسه من السكر! وقام مسرعاً، فقال للخادم: يا غلام عَلَيَّ بالسيف.

فضرب بيده إلى سيفه، وحلفَ أنّه يقطعه بهذا السيف ما بقي في يده!. وصار إليه-أي إلى الإمام-.

تقول أمّ الفضل: فندمتُ عند ذلك، فقلتُ في نفسي: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ما صنعتُ بنفسي وزوجي؟! هلكتُ وأهلكت.وجعلــتُ ألطم على وجهي.

فعدوتُ خلفَه لأنظر ما يصنع.

فدخل عليه وهو نائم. وما زال يضرب بالسيف، حتى قطّعه!!

ثمّ وضع سيفه على حلقه فذبحه. وأنا أنظر إليه، وياسر الخــادم ينظــر أيضاً. وانصرف المأمون، وهو يزبد مثل الجمل.

---

[1] - أي كان سكراناً نشوانا.

فلمّا رأيتُ ذلك، هربتُ على وجهي حتى رجعتُ إلى مترل أبي.

فبتُّ بليلة لم أنم فيها إلى أن أصبحت.

فلمّا أصبحتُ، أتيتُ أبي، وكان قد أفاق من السكر. فقلتُ له: أتدري ما صنعتَ البارحة؟

قال: لا والله. فما الذي صنعتُ ويلكِ؟

قلت: قتلتَ ابنَ الرضا!.فإنّك صرتَ إليهﷺ وهو نائمٌ، فقطّعتَه إرباً إرباً، وذبحتَه بسيفك وخرجتَ من عنده!.

فبرَقَ —المأمون—عينه وغشي عليه. فلمّا أفاق من غشوته، قال: ويلكِ ما تقولين؟

قلت: نعم والله يا أبتِ، أقولُ ما فعلتَ.

فصاح المأمونُ: يا ياسر، ما تقول هذه الملعونة، ويلك؟

قال: صدقَتْ في كلّ ما قالت يا أمير المؤمنين.

قالت:فضرب أبي بيده على صدره، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. هلكنا والله وأعطبنا وافتضحنا آخر الأبد.

ثمّ قال: ويلكَ يا ياسر، بادِر إليه وانظر ما القصّة، وعجّل عليَّ بالخبر، فإنّ نفسي تكاد تخرج الساعة!.

تقول أمّ الفضل:فخرج ياسر، وأنا الطم خدّي ووجهي، فما كان بأسرع ما رجع وقال: يا أمير المؤمنين، البشرى.

قال: وما ورائك؟!

قال الخادم: دخلتُ، فإذا هوﷺ قاعد يستاك، وعليه قميص و

دواج![1] فبقيتُ متحيّراً في أمره، ثمّ أردتُ أن أنظر إلى بدنه، هـل فيـه شيء من جراحة أو أثر السيف، فقلتُ لهﷺ: أُحبّ أن تهبَ لي هـذا القميص الذي عليك، لأتبرّك فيه.

يقول الخادم: فنظرﷺ إليّ وتبسّم، وكأنّه علم ما أردتُ بذلك.

فقالﷺ: «أكسوك كسوة فاخرة.»

فقلت: لستُ أريد غير هذا القميص الذي عليك.

فخلَعهﷺ وكشف بدنه، فوالله ما رأيتُ أثراً!!.

فخرَّ المأمون ساجداً، ووهبَ لياسر ألف دينار. وقال: الحمد لله الذي لم يبتلني بدمه.ثمّ بكى بكاءاً شديداً، وقال: ما بقي بعد هذا شيء. إنّ ذلك عبرة للأوّلين والآخرين.

ثم قال: يا ياسر، أمّا مجيء هذه الملعونة إليّ، وبكاؤها بين يديّ، فأذكُره، وأما مصيري إليه فلستُ أذكره.

فقال ياسر: والله مازلتَ تضربه بالسيف، وأنا وهذه ننظر إليك وإليه، فقطعتَه قطعة قطعة، ثم وضعتَ سيفك على حلقه، فذبحتَه وأنت تزبد كما يزبد البعير!.

فقال المأمون: الحمد لله.

قالت أمّ الفضل: ثمّ قال لي: والله لئن عدّتِ بعدها إلى شكواك مما يجري بينكما.

---

[1] - يستاك أي: يستعمل السواك. والدواج -بالضمّ- وهو اللحاف الذي يلبس.

ثم قال لياسر: احمل إليه عشرة آلاف دينار، وسَله الركوب إليّ، وابعث إلى الهاشميين والأشراف والقوّاد ليركبوا معه إلى عندي، ويبدءوا بالدخول إليه والتسليم عليه.

ففعل ياسر ذلك، وصار الجميع بين يديه‌ﷺ وأذن للجميع.

فقال الإمام الجوادﷺ: «يا ياسر، هذا كان العهد بيني وبينه حتى يهجم عليّ بالسيف!. أما علم أنّ لي ناصراً وحاجزاً يحجز بيني وبينه؟!»

قال ياسر: يا بن رسول الله، ليس هذا وقت العتاب، فوحـــقّ محمّدﷺ وعليّﷺ، ما كان يعقل من أمره شيئاً.

ثم أذنَﷺ للأشراف كلّهم بالدخول إلاّ (عبد الله) و(حمزة) ابني (الحسن)، لأنّهما كانا وقعا فيه عند المأمون،[1] وسعيا به مرّة بعد أخرى.

ثم قامﷺ، فركب مع الجماعة، وصار إلى المأمون.

فتلقّاه، وقبّل ما بين عينيه، وأقعده على المقعد في الصدر. وأمر أن يجلس الناس ناحية، وخلا به يعتذر إليه!

فقال أبو جعفرﷺ: «لك عندي نصيحة فاسمعها منّي.»

قال المأمون: هاتها.

قالﷺ: «أُشير عليك بترك الشراب المسكر.»

قال: فداك ابن عمّك، قد قبلتُ نصيحتك.[2]

---

[1] – وقع فيه: اغتابه وذكره بسوء.

[2] – البحار ج٥٠ ص٦٩.

تحليل للمعجزة

يحتمل في الحكاية -بناءاً على صحّتها-احتمالان:

الأول: أنّ المأمون العباسيّ قطّع الجوادﷺ إرباً إرباً حقيقـــة. أي: قد تحقّق هذا العمل في الخارج، ووقعَت هذه الجريمة النكراء مـــن المأمون العباسي..ولكنّ الله تعالى-بقدرته- أفاض على الإمام الجوادﷺ العافية بإبراء جميع جراحاته، كما حدث في قصّة إبراهيم الخليلﷺ. قال تعالى:(**وإذ قال إبراهيمُ ربّ أرني كيف تحي الموتى، قال أولم تـــؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعةً من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كلّ جَبَل منهنّ جزءاً ثمّ ادعهن ســـعياً واعلـــم أنّ الله عزيز حكيم**)[1] فقد ورد في التفسير أنّ الله تعالى أمرَ إبراهيم الخليـــلﷺ أن يأخذ أربعة من الطير مختلفة الأجناس، وهي: الطـــاووس والـــديك والحمام والغراب، وأمر أن يقطّعها ويخلط ريشها بدمها، ويفرّق أجزائها على عشرة جبال. ففعل إبراهيم ذلك، ثم دعاهنّ وقال: «أجبن بـــإذن الله» فكان إبراهيم ينظر إلى الرّيش يسعى بعضها إلى بعض، وكـــذلك العظام واللحوم. فكانت تجتمع، ويأتلف لحم كلّ واحـــدٍ وعظمـــه إلى رأسه. ثم أتينه مشياً على أرجلهنّ..

والاحتمال الثاني: أنّ عمليّة ضرب المأمون الإمـــام الجـــوادﷺ

---

[1] - البقرة / ٢٦٠.

بالسيف، وتقطيعه إرباً إربا لم تحدث، و لم تقع في الخارج. بـــل إنّ الله تعالى ألقى شبه الإمام الجوادﷺ على شيء من الأشياء الموجودة هنالك، فظنّ المأمون أنّ ذلك الشيء هو الإمام الجوادﷺ فقطّعه إرباً إربا كمـــا حدث ذلك في قصّة عيسى بن مريمﷺ، فقد قال تعالى:(**و ما قتلوه وما صلبوه، ولكن شُبّه لهم، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه، مـــالهم به من علمٍ إلا إتباع الظنّ وما قتلوه يقيناً**).[1]

فقد ألقى الله تعالى شبه عيسىﷺ على (طيطانوس)[2] الذي أرسله (يهوذا) -رأس اليهود- للبحث عن عيسى بن مريم. فرفع الله عيسى إلى السماء، وألقى شبه عيسى على (طيطانوس)، فصلبوه وهو يقول: لستُ بصاحبكم -عيسى-، أنا الذي دللتُكم عليه!. ولكـــنّهم لم يصـــدّقوا كلامَه، لأنّهم رأوه شبيه عيسى فصلبوه.

فالله الذي خلق عيسى بن مريم على صورة من الصور، قادرٌ على أن يجعل ملايين البشر على صورة عيسى أو غير عيسى مما يشـــاء. ولا يعجزه عن ذلك شي..

فلا يبعد أن يكون الذي حصل للمأمون، وفي تلك الليلـــة الـــتي هجم فيها على الإمام الجوادﷺ وضربه بسيفه.. كان تصـــرّفاً مِـــن الله تعالى في عينيه وأعين مَن كان معه، فكان المأمون يضرب بالسيف شيئاً

---

[1] - النساء / ١٥٧.

[2] - راجع مجمع البيان ج٣ ص٢٣٢.

آخر، ويخيّل إليه أنّه يضرب الإمام الجواد(ع).

وهذه الوجوه المحتملة كلّها تحليلات مادّية لتقريب المعنى إلى الذهن. وأمّا المعجزة، فهي فوق المقاييس الطبيعية والمادّية. ولا يمكن تحليلها على ضوء المادّة أبداً، ولا شكّ أنّ الإمام الجواد(ع)، ردّ كيد المأمون عن طريق المعجزة التي مكّنه الله منها يستخدمها متى شاء.. [1]

- يقول (محمّد بن سنان): شكوتُ إلى الرضا(ع) وجع العين. فأخذَ(ع) قرطاساً فكتبَ إلى أبي جعفر(ع) وهو أقلّ من نبيّ، ودفع الكتاب إلى الخادم، وأمرني أن أذهب معه. وقال(ع):«اكتم.»

-يقول-:فأتيناه وخادم حمله، ففتح الخادمُ الكتاب بين يدي أبي جعفر(ع)، فجعل أبو جعفر (ع) ينظر في الكتاب، ويرفع رأسه إلى السماء ويقول: «ناج».

ففعل(ع) ذلك مراراً، فذهب كلّ وجع في عيني، وأبصرتُ بصراً لا يبصره أحد!.

- عن (حكيم بن حمّاد)، قال:رأيتُ سيّدي محمّد بن علي(ع)،وقد ألقى في (دجلة) خاتماً، فوقفَتْ كلُّ سفينة صاعدة وهابطة!..

ثمّ قال(ع) لغلامه: «أخرِج الخاتم» فسارتْ الزوابق. [2]

- وذكر ابن شهر آشوب في المناقب، عن(عسكر)مولى أبي جعفر(ع) قال: دخلتُ عليه(ع)، فقلتُ في نفسي: يا سبحان الله، ما

---

[1] - راجع كتاب الإمام الجواد من المهد إلى اللحد ص٣٥٤-٣٥٧.

[2] - دلائل الإمامة: ص٣٩٨ ح٣٥٠.

أشدّ سُمرة مولاي، وأضوء[1] جسده!.

قال(عسكر): فوالله ما استتممتُ الكلام في نفسي، حتى تطاول وعرض جسدهﷺ، وامتلأ به الإيوان إلى سقفه، ومع جوانب حيطانه!.

ثمّ رأيتُ لونَهﷺ وقد اظلمّ حتى صار كالليل المظلم!.

ثمّ ابيضّ، حتى صار كأبيض ما يكون من الثلج!.

ثمّ احمرّ، حتّى صار كالعلق المحمرّ!.

ثمّ اخضرّ، حتى صار كأخْضر ما يكون من الأغصان المورقة الخضرة!.

ثمّ تناقص جسمهﷺ حتى صار في صورته الأولى،وعاد لونهﷺالأوّل! وسقطتُ لوجهي مما رأيت.

فصاحﷺ بي: «يا عسكر، تَشكّون فنثبّتكم، وتضعفون فنقوّيكم. والله لا يصل إلى حقيقة معرفتنا إلا مَن مَنَّ الله عليه بنا، وارتضاه لنا وليّاً.»[2]

* * *

هذه بعض آثار عظمة الإمام الجوادﷺ، التي تكشف عن مدى حبّه لله وحبّ الله له، حتى أكرمه ورفعَ شأنه، وأجرى على يديه تقديره، وألزم الناس ولايته..

---

[1] -وفي نسخة: (أضوى)، يقال: ضَوِيَ الرجل: أي دقّ عظمه، وقلّ جسمه.

[2] -مدينة المعاجز للسيّد هاشم البحراني ص٥٢٧، وفي البحار: ج٥٠ ص٥٥ ح٣١ مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

فلا غرو أن يضرب الإمام عليه السلام على ورق الزيتـــون، و يغيّرهـــا أوراقاً نقديّة[1]، أو أن يمدد الحديد بغير نار[2]، أو يطبع علـــى الحجـــارة بخاتمه[3]، أو تشهد العصا بولايته وإمامته[4]، أو ينفرج الحائط له[5]، أو تثمر السدرة اليابسة بالماء الذي توضّأ فيه[6]، أو يحيي الموتى بمرأى من الناس[7] حتّى يسمّوه بـــ(عيسى الثاني!)[8]، فهو مولى الكائنات وإمام زمانها...

---

[1] – دلائل الشيعة ص٢١٠،عن إبراهيم ابن سعيد، قال: رأيتُ محمّد بن عليّ عليه السلام يضرب بيـــده إلى ورق الزيتون ويغيّرها أوراقاً نقديّة..وفي نسخة: فيصير في كفّه ورقاً، فأخذتُ منه كـــثيراً، وأنفقتُه في الأسواق فلم يتغيّر.(مدينة المعاجز: ج٧ (ص) ٣١٩ ح٤٥) .

[2] – عن عمارة قال: (رأيتُ الجواد عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، ما علامة الإمام ؟ فقال عليه السلام: «إذا فعل هكذا» ووضع يده على صخرة، فبان أصابعه عليه السلام فيها، ورأيته عليه السلام يمدد الحديدة بغير نار..) (دلائل الشيعة ص٢١١).

[3] – المصدر السابق.

[4] – قد مرّ هذا الحديث مفصّلاً فراجع.

[5] – إثبات الوصيّة: ص٢١٥.

[6] – الإرشاد: ص٣٢٣.

[7] – الهداية الكبرى ص٣٠٦.

[8] – (البحار ج٥٠،ص١٦).

٤

تقوى الإمام الجوادﷺ

إنّ تقوى الإمام الجوادﷺ البارز، يكشف عن إخلاص أبرز.. لا يعرف الشكّ إليه من سبيل، و لا يجد الخمود إليه من طريق.. ويكشف عن مدى تنمّره في ذات ربّه سبحانه..

وهيّا ثنّ – أخي القارئ – بلفتة نحو زواج الإمامﷺ، حينما أراد المأمون أنْ يحتال عليهﷺ –لكي يهوى به إلى مزالق الفساد، فينقص من كرامته وهيبته لدى الناس–..(إنّ المأمون احتال بكلّ حيلة، فلم يمكنه في شيء. ولّما أراد أن يزوّجه ابنته، جاء بمائة وصيفة من أجمل ما يكـــون. ودفع إلى كلّ واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر، يستقبلن أبا جعفـــرﷺ إذا قعد في موضع الأختان.[1] فلم يلتفت الإمام ﷺ إليهنّ!.

وكان رجل يقال له: (مُخـــارِق)، صـــاحب صـــوت وعـــود وضرب[2]، طويل اللحية. فدعاه المأمون، فقال: إنْ كان في شيء من أمر

[1] – هكذا في المصدر، ولعل الصحيح، كما في بعض النسخ: الأخيار.

[2] – في نسخة أخرى : طرب.

الدنيا، فأنا أكفيك أمره.

فقعَدَ (مخارِق) بين يدي أبي جعفرﷺ، فشهق شهقة، اجتمع إليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنّي.

فلمّا فعل ساعة، وإذا أبو جعفرﷺ لا يلتفت، لا يميناً ولا شمالاً!!. ثم رفعﷺ رأسه، وقال: «اتقِ الله يا ذا العثنون[1]»

فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيده إلى أن مات!.[2]

ولّما سأله المأمون عن حاله، قال: لمّا صاح بي أبو جعفرﷺ، فزعتُ فزعةً لا أفيق منها أبداً!.[3]

فخُذ-أخي- حياةَ الإمامﷺ، وادرسه درساً كافياً وافيا، وكاملاً شاملاً، فهل تجد فيه نقصاً في الإخلاص، أو ضعفاً في الورع والتقوى، أو ركوناً إلى هوى النفس**(فارجع البصر هل ترى من فطور)**؟..كلاّ وألف كلا.

ولذا، ما تمسّك بعروة ولايته مَن تمسّك، إلا لأنه الصادق المصدَّق..ما قال من الكَلِم مِن شيء، إلا صدّقته أفعاله. وما أمرَ أمراً، إلا وسبقته إليه أعماله..

فحينما يأمر بالتقوى، فإنّه مِن أوّل مَن (أوفى بعده واتقى).. وعندما يوصي، هو وآبائه بالورع، فإنّهم السابقون في

---

[1] - العثنون هو اللحية.

[2] - مناقب أبي طالب ج٤ ص٣٩٦.

[3] - الكافي ج١ ص٥٦٥ باب مولد الإمامﷺ.

تطبيقه..

لم تختلف أقواله مع أفعاله، ولا سيرته مع وصيّته، ولا مقدار حبّة من خردل، -وإنّما اختلف أعدائه إفكاً وزورا-.

إنّ قول الإمام عليه السلام كان امتداد فعله، وأمره مظهر صدقه، فهل -يا ترى- يأمر بما لم يؤمن به عمله، أم هل يكلّم بما لا تبلغه جوارحه، وهو الذي مثّل نور التقوى والإخلاص، ونور الورع والعفّة، ونور الإيمان والمبدأ الحقّ..حتى أصبح كجدّه: **(على خُلق عظيم)**!.

إنّ الإمام الجواد عليه السلام هو الذي قال: «لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد، ثمّ اتّقى الله تعالى، لجَعل منها مخرجا.»[1]

وإنّه القائل: «بالتقوى نجا نوح عليه السلام ومَن معه في السفينة، وصالح عليه السلام ومَن معه من الصاعقة.»

«وبالتقوى فاز الصابرون، ونجت تلك العصبة من المهالك..»[2]

وهو القائل: «السؤدَد حقّ السؤدد لمن اتّقى الله ربّه.»[3]

لذلك صار الإمام محمّد (التقيّ) من سادة الأتقياء وساستهم، فهو الأسوة والقدوة..وسنّته حجة، قولاً وفعلاً وتقريرا..

---

[1] - إحقاق الحقّ، ج١٢ ص٤٣٥.

[2] - البحار ج٧٥ ص٧٩ ح٦٢.

[3] - كشف الغمّة ج٢ ص٣٥٠.

«٦»

أدعية الإمام الجواد

إنّ الأئمّة، عرفوا الله حقّ المعرفة، فعبدوه حقّ العبودية..وإنّهم، خافوا مقام ربّهم، فتبتّلوا إليه تبتيلا.

عَظُمَ الخالق في أنفسهم، فصاروا لا يمكلـون الـدموع عـن الجريان.. يعتبرون أنفسهم مقصّرين أمام الله وعظمته، فيلوذون بعفوه، ويعوذون بحلمه، ويدعونه تضرّعاً وخفية، ويستغفرونه، وقد عصـمهم الله من الزلل، وجعلهم عِدل كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديـه ولامِن خلفه..[1]

أولا ترى، لمّا يجري من بين ثناياهم الدعاء، كأنّهم القرآن قـد نطق بالحق!..

وعندما يتلون الكتاب -بذلك الوعي، وبتلك المعرفـة-حـق تلاوته، ترى انسجام نفوسهم مع معانيه، واندماج أرواحهـم بالـذي أوحى الله إلى نبيه.. وترى انطباق القرآن بالقرآن.. الصامت بالناطق..

---

[1] - من الأحاديث المتواترة عند الفريقين باختلاف يسير في الألفاظ، وممن روها مسلم ، بإسناده عن (زيد بن أرقم) قال: إنّ النبي ﷺ قال: «أما بعد، ألا آيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشـك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين. أوّلهما كتاب الله فيه الهدى و النور ، فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به.» فحثّ على كتاب و رغّب فيه.ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. وإنّهما لن يفترقا حتى يـردا عليّ الحوض.» (صحيح مسلم ج٤ ص١٨٧٣.) ورواه الترمذي أيضـاً في صـحيحه (ج ٥ ص٦٢٢)، و أحمد في مسنده (ج ٣ ص١٤، ٢٩)، و الحاكم في المستدرك (ج ٣ ص١٠٩).

فإنّه يأمر، وهم يطبّقون..

يقول:**(قُم الليلَ إلا قليلا)**،[1] وهم يقومونه إلا قليلا..

يقول:**(ومن الليل فتهجّد به)**،[2] وهم المتهجّدون به نافلة..

ويقول:**(التـــائبون العابـــدون الحامـــدون الســـائحون الراكعـــون الساجدون)**[3] وهل يتقدّمهم أحد في كلّ ذلك؟..

قـــومٌ علومهمُ عن جدّهم أُخذت ... عـــن جبرئـــيل، وجبريلٌ عن اللهِ
هم السفينة ما كنّا لنطـــــمع أن ... ننجو من الهول في الحشر لولا هي
الخاشعون إذا جنّ الـــــظلامُ،فما ... تغشـــاهمُ سنّـــة تنفـــى بإنبـــاه
ولا بدت ليلـــةٌ إلا و قابلـــــها ... مِن التهـــجّد منـــهم كـــلّ أوّاه
و ليس يشغلهم عن ذكر ربّهـــمُ ... تغريدُ شـــاد ولا ساق ولا طـــاه
سحائب لا تزال العلم هامـــــية ... أجل من سُحُـــب تهمي بـــأمواه

فأدعية الأئمة، هي ذلك الكتر النفيس في التوحيـــد والعقيـــدة. والسفرُ الجليل، الحافل بالأخلاق والعرفان. والمنهل العذب الذي يفيض بالكمال والآداب، ذلك أنّهم القرآن النـــاطق، وعبـــاد مكرمـــون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

---

[1] - المزّمّل/٢.

[2] - الإسراء/٧٩.

[3] - التوبة/١١٢.

مَن جاء بالقول البليغ، فعنهمُ — و إلاّ فهــو منــهم ســارقُ
ساووا كتابَ الله إلا أنــّـه — هو صامتٌ وهم الكتاب الناطقُ

وللإمام الجواد(ع) أدعية ومناجاة كثيرة مأثورة في مجالها، أذكــر بعضاً منها تبرّكاً وتيمّناً وداعيا..

* مناجاة « **الوسائل إلى المسائل** »

لما زوّج المأمونُ أبا جعفر(ع) ابنته، كتب(ع) إلى المأمون:

«إنّ لكلّ زوجة صداقاً من مال زوجها. وقــد جعــل الله أموالنــا في الآخرة، مؤجّلة مذخورة هناك، كما جعل أموالكم معجّلة في الــدنيا، وكنزها هاهنا.»

«وقد أمهرتُ ابنتك: (**الوسائل إلى المسائل**). وهي مناجاة دفعهــا إليّ أبي، قال: دفعها إليّ أبي، قال: دفعها إليّ أبي: جعفر، قــال: دفعهــا إليّ محمّد -الباقر- أبي، قال: دفعها إليّ علي بن الحسين أبي، قال: دفعها إليّ الحسين أبي، قال: دفعها إليّ الحسن أخي، قال: «دفعها إليّ أمير المؤمنين عليّ بنُ أبي طالب، قال: دفعها إليّ رســول الله (ص) قــال: دفعهــا إليّ جبرائيل، قال: يا محمّد، ربُّ العزّة يقرئك السلام، ويقول لك: «هــذه مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة، فاجعلها و(**سائلك إلى مسائلك**)، تَصــل

إلى بُغيتك[1]، فتنجح في طلبتك. فلا تؤثرها في حوائج الدنيا، فتبخس بها الحظّ من آخرتك.»

«وهي عشر وسائل إلى عشر مسائل، تطرق بها أبواب الرغبات فتفتح، وتطلب بها الحاجات فتنجح، وهذه نسختها:

١) المناجاة بالإستخارة:

بِسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ، اللهمَّ إنّ خِيرتَك فيما استخرتُك فيه، تُنيلُ الرَغائب، وتجزلُ المواهب، وتُغنم المطالب، وتُطيّب المكاسب، وتهدي إلى أجمَل المذاهب، وتسوقُ إلى أحمدِ العَواقب، وتقي مخوفَ النوائب.

اللهمَّ إني أستَخيركَ فيما عزمَ رأيي عليه، وقادني عقلي إليه، فسهِّل اللهمَّ منه ما توعّرَ، ويسّر منه ما تعسّر، واكفني فيه المهمّ وادفع عني كلّ ملم. واجعل يا ربِّ عواقبه غنماً، ومخوفَه سلماً، وبُعده قربة، وجدته خصباً.

وأرسل اللهمَّ إجابتي، وأنجح طلبتي، واقضِ حاجَتي، واقطع عنّي عوائقَها وامنع عنّي بوائقَها، واعطني اللهمّ لواءَ الظفر بالخيرة فيما استخرتك، ووفور المغنم فيما دعوتك، وعوائد الأفضال فيما رجوتك، و أقرنه اللهمّ بالنجاح، وخصّه بالصلاح، وأرني أسباب الخيرة فيه واضحة، وأعلام غنمها لائحة، و اشدد خناق تعسيرها وأنعش صريخ تكسيرها، وبيّن اللهم ملتبسها، وأطلق محتبسها ومكّن أسها حتى تكون خيرة مقبلة

---

[1] – البغية: الهدف والقصد.

بالغنم، مزيلة للغرم عاجلة النفع، باقية الصنع، إنك مليء بالمزيد مبتديٌ بالجود قبل استحقاقه وصلّ على محمّد المحمود وآله الطاهرين.

٢) المناجاة بالاستقالة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهُمَّ إنّ الرَجاء لسعةِ رحمتِك أنطقني باستقالتك، والأمل لأناتِك ورفقِك شجّعني على طلب أمانك وعفوك، ولي -يا ربِّ- ذنوبٌ قد واجهتها أوجهُ الانتقام، وخطايا قد لاحظتها أعيُن الإصطلام، واستوجبتُ بها -على عدلك-أليمَ العذابِ واستحققتُ باجتراحها مبيرَ العقابِ، وخفتُ تعويقها لإجابتي وردّها إيّاي عن قضاء حاجتي وإبطالهما لطلبتي وقطعها لأسباب رغبتي من أجل ما قد أنقض ظهري من ثقلها، وبهظني من الاستقلال بحملها ثم تراجعت-ربّ- إلى حلمك عن الخاطئين، وعفوك عن المذنبين، ورحمتِك للعاصين، فأقبلتُ بثقتي متوكلاً عليك، طارحاً نفسي بين يديك، شاكياً بثّي إليك، سائلاً ما لا أستوجبُه من تفريج الهمّ ولا استحقّه من تنفيس الغمّ، مستقيلاً لك إيّاي، واثقاً -مولاي- بك.

اللهمّ فامنن عليّ بالفرج وتطول بسهولة المخرج و ادللني برأفتك على سمت المنهج، وأزلقني بقدرتك عن الطريق الأعوج وخلّصني من سجن الكرب بإقالتك، وأطلق أسري برحمتك، وطُل عليّ برضوانك، وجُد عليّ بإحسانك، وأقلني عثرتي، وفرّج كربت،ي وارحم عبرتي، ولا تحجب دعوتي، واشدد بالإقالة أزري، وقوّ بها ظهري، واصلح بها

أمري، وأطل بها عمري، وارحمني يوم حشري، ووقت نشـــري، إنّـــك جوادٌ كريمٌ غفورٌ رَحيمٌ، وصلِّ على محمّد وآله.

٣) المناجاة بالسفر

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهُمَّ أني أُريدُ سَفراً فخِر لي فيه، وأوضـــح لي سبيل الرأي وفهّمنيه، وافتَح عزمي بالاســـتقامة، واشملـــني في ســـفري بالسلامة، وافدني جزيل الحظّ والكرامة، و اكـــلأني بحســـن الحفـــظ والحراسة. وجنبني -اللهم- وعثاء الأسفار، وسهّل لي حزونة الأوعار، واطوِ لي بساط المراحل، وقرّب مني بُعد نأي المناهل، وباعدني في المسير بين خطى الرواحل حتى تقرب نياط البعيد وتسهل وعور الشـــديد، و لقّني -اللهم- في سفري نجح طائر الواقية، وهبني فيه غنم العافية وخفير الاستقلال، ودليل مجاوزة الأهوال سانح خفير الولاية واجعله -اللهم- سبب عظيم السلم حاصل الغنم.
واجعل اللهمّ الليل عليّ ستراً من الآفات، والنهار مانعاً من الهلاكـــات، واقطع عني قطع لصوصه بقدرتك، واحرسني من وحوشه بقوّتك، حتى تكون السلامة فيه مصاحبتي، والعافية مقاربتي، واليُمن سائقي، واليسر معانقي، والعسر مفارقي، والفوز موافقي، والأمن مرافقـــي. إنـــك ذو الطول والمنّ والقوة والحول وأنت على كلّ شي قدير وبعبادك بصـــير خبير.

٤) المناجاة بطلب الرزق

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهُمَّ أرسل عليّ سحال رزقك مدراراً، وأمطر عليَّ سحائب أفضالك غزاراً، و أدم غيث نيلك إليّ سجالا، و أسبل مزيد نعمتك على خلتي إسبالا، وأفقرني بجودك إليك، و أغنني عمّن يطلب ما لديك، وداوِ داءَ فقري بدواءِ فضلِك، وأنعش صرعة عيلتي بطولك، وتصدق على إقلالي بكثرة عطائك، وعلى اختلالي بكريم حبائك.

وسهّل-ربِّ- سبيل الرزق إليّ، وثبّت قواعده لديّ وبجّس لي عيون سعته برحمتك، و فجّر أنهار رغد العيش قِبَلي برأفتك، وأجدب أرض فقري، وأخصب جدب ضرّي، واصرف عني في الرزق العوائق، و اقطع عني من الضيق العلائق، وارمني من سهم الرزق اللهمَّ بأخصب سهامه، وأحيني من رغد العيش بأكثر دوامه.

واكسني اللهمَّ سرابيل السعة وجلابيب الدعة.فأني -يا ربّ- منتظرٌ لإنعامك بحذف المضيق، ولتطوّلك التعويق، ولتفضلك بإزالة التقتير، ولوصول حبلي بكرمك بالتيسير.

وأمطر -اللهمَّ- عليّ سماءَ رزقِك بسجال الديم. وأغنني بعوائد النعم، وارمِ مقاتل الإقتار منّي، واحمل كشف الضرّ عنّي على مطايا الإعجال، واضرب عني الضيق بسيف الإستيصال، وأتحفني ربّ منك بسعة الإفضال، وأمددني بنموّ الأموال واحرسني من ضيق الإقلال.

واقبض عني سوء الجدب، وابسط لي بساط الخصب، واسقني من مـــاء رزقك غدقاً، و انهج لي من عميم بذلك طرقاً، وفاجئني بالثروة والمال، وأنعشني به من الإقلال وصبحني بالإستظهار، ومسني من اليسار، إنـــك ذو الطول العظيم والفضل العميم والمنّ الجسيم وأنت الجـــواد الكـــريم الملك الغفور الرحيم.

٥) المناجاة بالاستعاذة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمّ إني أعوذ بك من ملمّات نوازل الـــبلاء، وأهوال عظائم الضرّاء، فأعذني -ربِّ- من صرعة البأساء، واحجـــبني من سطوات البلاء، و نجّني من مفاجاة النقم، وأجِرني من زوال الـــنعم، ومن زلل القدم.

واجعلني -اللهمّ- في حياطة عزّك، وحفاظ حرزك من مباغته الـــدوائر ومعاجلة البوادر.

اللهمّ -ربِّ- و أرض البلاء فاخسفها، وعرصة المحن فارجفها، وشمس النوائب فاكسفها، وجبال السوء فانسفها، وكرب الدهر فاكشـــفها، وعوائق الأمور فاصرفها، وأوردني حياض السلامة، واحملني على مطايا الكرامة، واصحبني بإقالة العثرة، واشملني بستر العورة، وجد عليّ -يـــا ربِّ- بآلائك وكشفِ بلائك ودفعِ ضرّائك.

وادفع عنّي كلاكل عذابك، واصرف عنّي أليم عقابك، وأعـــذني مِـــن بوائق الدهور، وأنقذني من سوء عواقب الأمور، واحرسني مـــن جميـــع المحذور، واصدع صفاة البلاء عن أمري، واشلل يده عنّي مدى عمري، إنك الربُّ المجيد المبديء المعيد الفعّال لما تريد.

٦) المناجاة بطلب التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ إني قصدتُ بإخلاص توبـــة نصـــوحٍ، و تثبيت عقد صحيح، ودعاء قلب فريحٍ، وإعلان قولٍ صريح.اللهمّ فتقبّل منّي مخلص التوبة، وإقبال سريع الأوبة، ومصارع تخشّع الحوبة. وقابلْ- ربِّ- توبتي بجزيل الثواب، وكريم المآب، وحـــطّ العقـــاب وصـــرفِ العذاب، وغنم الإياب، وستر الحجاب.

وامح-اللهمّ- ما ثبتَ من ذنوبي، واغسل بقبولها جميعَ عيوبي، واجعلها جالية لقلبي، شاخصة لبصيرة لبّي، غاسلةً لدَرَني، مطهرةً لنجاسةِ بدني، مصحّحةً فيها ضميري، عاجلةً إلى الوفاء بها بصيرتي. واقبل-يـــا ربِّ- توبتي، فإنّها تصدر من إخلاص نيّتي، ومحضٍ من تصـــحيح بصـــيرتي، واحتفالٍ في طويتي، واجتهادٍ في نقاء سريرتي، و تثبيتٍ لإنابتي، مسارعةً إلى أمرك بطاعتي.

و أجّل -اللهمّ- بالتوبة عنّي ظلمةً الإصرار، وأمحُ بها ما قدّمتُـــه مـــن الأوزار، واكسني لباس التقوى، وجلابيبَ الهدى، فقد خلعـــتُ رِبْـــقَ المعاصي عن جِلدي، ونزعتُ سربال الذنوب عن جَسدي، متمسّكاً -

ربِّ - بقدرتك، مستعيناً على نفسي بعزّتك، مستودعاً تسوبتي من النكث بخفرتك، معتصماً من الخذلان بعصمتك، مقارناً به لا حولَ ولا قوة إلا بك.

٧) المناجاة بطلبَ الحج

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ ارزقني الحجَّ الذي فرضتَه على من استطاع إليه سبيلاً.

واجعل لي فيه هادياً وإليه دليلاً، وقرِّب لي بُعد المسالك، و أعنّي على تأدية المناسك، وحرّم بإحرامي على النار جسدي، وزِد للسفر قوّتي وجلدي، وارزقني -ربِّ- الوقوف بين يديك، والإفاضة إليك، وأظفرني بالنجح بوافر الربح، واصدرني -ربِّ- من موقف الحجّ الأكبر إلى مزدلفة المشعر.

واجعلها زلفةً إلى رحمتك، وطريقاً إلى جنتك، وقفني موقف المشعر الحرام، ومقام وقوف الإحرام، و أهلني لتأدية المناسك، ونحر الهَدي التوامك بدم ثبج وأوداج تمج، وإراقة الدماء المسفوحة، والهدايا المذبوحة، وفَري أوداجها على ما أمرتَ، والتنفل بها كما وسمت.

وأحضرني -اللهُمَّ- صلاة العيد، راجياً للوعد خائفاً من الوعيد، حالقاً شعر رأسي ومقصراً ومجتهداً في طاعتك، مشمّراً رامياً للجمار بسبعٍ بعد سبعٍ من الأحجار.

وأدخلني -اللهُمَّ- عرضة بيتك وعَفوَتك ومحلّ أمنك وكعبتك ومساكينك وسُوّالك ومحاويجك وجد عليّ -اللهُمَّ- بوافر الأجر من الانكِفاءِ والنفر.

واختم -اللهمّ- مناسك حجّي، وانقضاء عجّي، بقبولٍ منك لي ورأفةٍ منك بي، يا أرحم الراحمين يا غفور يا رحيم.

٨) المناجاة بكشف الظلم

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ إنّ ظلم عبادِك قد تمكّن في بلادك، حتى أمات العدلَ، وقطع السبلَ ومحق الحقَّ وأبطل الصدقَ وأخفى البّرَ واظهر الشرَّ، وأهمل التقوى وأزال الهدى وأزاح الخيَر وأثبت الضيرَ، وأنمى الفسادَ وقوّى العنادَ وبسط الجورَ وعدى الطورَ.

اللهمّ-يا ربٍّ- لا يَكشف ذلك إلا سلطانُك، ولا يجير منه إلا امتنانك.

اللهمّ -ربِّ- فابترِ الظلم وبثّ حبال الغشم، واخمِد سوق المنكر واعزّ من عنه يترجر واحصد شأفة أهل الجور، وألبسهم الحَور بعد الكَور.

وعجّل -اللهمّ- إليهم البيات، وأنزل عليهم المثلات، وأمِت حياة المنكر، ليؤمن المخوف، ويسكن الملهوف، ويشبع الجائع، ويحفظ الضائع، ويأوى الطريد، ويعود الشريد، ويغنى الفقير، ويجار المستجير، ويوقّر الكبير، ويرحم الصغير، ويعزّ المظلوم، ويذلّ الظالم، ويفرّج المغموم، و تنفرج الغمّاء، وتسكن الدهماء، ويموت الاختلاف، ويعلو

العلم، ويشمل السلم، ويجمع الشتات، ويقوى الإيمان، ويُتلى القـــرآن، إنك أنت الديّان، المنعم المنان.

٩) المناجاة بالشكر لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهُمَّ لك الحمدُ على مرد نوازلِ البلاء، وتوالي سبوغ النعماء، وملمّات الضرّاء، وكشف نوائب اللواء.

ولك الحمدُ على هنيء عطائك، ومحمود بلائك، وجليل آلائك. ولـــك الحمدُ على إحسانك الكثير، وجودك الغزير، وتكليفك اليسير، ودفـــع العسير. ولك الحمدُ -يا ربِّ- على تثميرك قليل الشكر، وإعطائك وافر الأجر، وحطّك مثقل الوزر، وقبولك ضيق العذر، ووضـــعك بـــاهض الإصر، وتسهيلك موضع الوعر، ومنك مُفظِع الأمر.

ولك الحمد على البلاءِ المصروف، ووافرِ المعروف ودفعِ المخوف وإذلال العسوف.

ولك الحمد على قلّة التكليف، وكثرة التخفيف، وتقويـــة الضـــعيف، وإغاثة اللّهيف. ولك الحمد على ســـعة إمهالـــك، ودوام إفضـــالك، وصرف إمحالك، وحميد أفعالك، وتوالي نوالك. ولك الحمدُ على تأخير معاجلة العقاب، وترك مغافصة العذاب، وتسهيل طريق المآب، وإنـــزال غيث السحاب، إنّك المنّان الوهّاب.

١٠) المنجاة بطلب الحوائج

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم جديرٌ مَن أمرته الدعاء أن يدعوك، ومن وعدته بالإجابة أن يرجوك.

وليَ -اللهمَّ- حاجةٌ قد عجزَت عنها حيلتي، وكلّت فيها طاقتي، وضعفَتْ عن مرامها قوّتي، ولي نفسي الأمارة بالسوء، وعدوّي الغرور الذي أنا منه مبتلى أن ارغب إلى ضعيفٍ مثلي، ومن هو في النكول شكلي، حتى تداركتني رحمتك وبادرتني -بالتوفيق- رأفتك، ورددت علي عقلي بتطوّلك، وألهمتني رشدي بتفضلك، وأحييت-بالرجاء لك- قلبي، وأزلت خدعة عدوّي عن لبّي، وصححت بالتأميل فكري، وشرحت -بالرجاء لإسعافك-صدري، وصورتَ لي الفوز ببلوغ ما رجوته، والوصول إلى ما أمّلته، فوقفت -اللهمَّ ربِّ- بين يديك، سائلاً لك ضارعاً إليك، واثقاً بك، متوكّلاً عليك في قضاء حاجتي، وتحقيق أمنيّتي وتصديق رغبتي.اللهمَّ وأنجِحها بأيمن النجاح، واهدها سبيل الفلاح. واشرح بالرجاء لإسعافك صدري، ويسّر في أسباب الخير أمري، و صوّر إليّ الفوز ببلوغ ما رجوته، بالوصول إلى ما أمّلته.

ووفقني -اللهمَّ- في قضاء حاجتي ببلوغ أمنيّتي وتصديق رغبتي وأعذني -اللهمَّ- بكرمك من الخيبة والقنوط والأناة والتثبيط. اللهم إنك مليٌّ

بالمنائح الجزيلة، وفيٌّ بها، وأنت على كلّ شيء قدير، بعبادك خبيرٌ بصير.»[1]

■ و من دعاء له ﷺ في قنوته لمن تولّى الأئمّة الأطهار:

«اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وقوّ ضعف المخلصين لك بالمحبّة، المشايعين لنا بالموالاة، المتّبعين لنا بالتصديق والعمل، الموازرين لنا بالمواساة فينا، المحبّين ذكرنا عند اجتماعهم. وشدّ اللهمّ ركنهم، و سدّد لهم اللهمّ دينَهم الذي ارتضيته لهم، وأتمم عليهم نعمتك، وخلّصهم واستخلصهم. وسدّ اللهمّ فقرهم، والمم اللهمّ شعثَ فاقتهم، واغفر اللهمّ ذنوبهم وخطاياهم، ولا تُزغ قلوبَهم بَعد إذ هديتهم، ولا تخلّهم أي ربٍّ بمعصيتهم. واحفظ لهم ما منحتهم به من الطهارة بولاية أوليائك، والبراءة من أعدائك، إنّك سميع مجيب، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.»[2]

■ و من دعاء له ﷺ في القنوت:

«اللهمَّ أنت الأول بلا أوليّة معدودة، والآخر بلا آخريّة محدودة، أنشأتَنا لا لعلّة اقتساراً، واخترعتنا لا لحاجة اقتداراً، وابتدعتنا بحكمتك اختياراً، وبلوتنا بأمرك ونهيك اختبارا، وأيّدتّنا بالآلات، ومنحتَنا بالأدوات،

---

[1] – البحار ج٩٤ ص١١٣–١٢٠، مهج الدعوات ص٢٥٨، مستدرك العوالم ج٢٣ ص٢٢٧.

[2] – مهج الدعوات ص٦٥، وص٨٠.

وكلفتَنا الطاقة، وجشمتنا الطاعة، فأمرتَ تخسيراً، ونهيتَ تحذيراً، وخوّلتَ كثيراً، وسألتَ يسيراً، فعصي أمرك، فحلمت، وجُهل قدرك فتكرمت، فأنت ربُّ العزّة والبهاء والعظمة والكبرياء والإحسان والنعماء والمنّ والآلاء والمنح والعطاء والإنجاز والوفاء، ولا تحيط القلوب لك بكنه، ولا تدرك الأوهام لك صفة، ولا يشبهك شيء من خلقك، ولا يمثل بك شيء من صنعتك، تباركت أن تحس أو تمس أو تدركك الحواسُّ الخمس، وأنّى يدرك مخلوق خالقه، وتعاليتَ يا الهي عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً. اللهمَّ أدل لأوليائك من أعدائك الظالمين الباغين الناكثين القاسطين المارقين الذين أضلّوا عبادك، وحرّفوا كتابك، وبدّلوا أحكامك، وجحدوا حقّك، وجلسوا مجالس أوليائك جرأة منهم عليك، وظلماً منهم لأهل بيت نبيّك عليهم سلامك وصلواتك ورحمتك وبركاتك. فضلّوا وأضلّوا خلقك، وهتكوا حجاب سترك عن عبادك، واتخذوا اللهمَّ مالَك دولاً وعبادك خولاً، وتركوا اللهمَّ عالم أرضك في بكماءِ عمياءِ ظلماءِ مدلهمّة، فأعيُنهم مفتوحة، وقلوبهم عميّة، ولم تبقِ لهم اللهمَّ عليك من حجّة لقد حذرت اللهمَّ عذابك وبينت نكالك، ووعدت المطيعين إحسانك، وقدمت إليهم بالنذر فآمنت طائفة.

فأيدّ اللهمَّ الذين آمنوا على عدوّك وعدوّ أوليائك، فاصبحوا ظاهرين وإلى الحقّ داعين، وللإمام المنتظر القائم بالقسط تابعين، وجدّد اللهمَّ على أعدائك وأعدائهم نارَك وعذابَك الذي لا تدفعه عن القوم الظالمين. اللهمَّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وقوّ ضعفَ المخلصين لك

بالمحبة، المشايعين لنا بالمولاة، المتبعين لنا بالتصديق والعمل، والموازين لنا بالمواساة فينا، المحيين ذكرنا عند اجتماعهم وشدّ اللهمَّ ركنهم، وسدّد لهم اللهمَّ دينهم الذي ارتضيتَه لهم، وأتمم عليهم نعمتك، وخلّصهم واستخلصهم، وسدّ اللهم فقرهم، والمم اللهمَّ شعث فاقتهم، واغفر اللهمَّ ذنوبهم وخطاياهم، ولا تزغ قلوبهم بعد إذ هديتهم، ولا تخلهم أي ربِّ بمعصيتهم، واحفظ لهم ما منحتَهم به من الطهارة بولاية أوليائك والبراءة من أعدائك إنك سميع مجيب، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين».[1]

* * *

إنّ موضوع استجابة الدعاء بالنسبة للأئمةﷺ، هو من الأمور المسلّم بها لدى المنصفين ممن استقرأ سيرهمﷺ. فقد طفحت الكتب بما رُوي أنهمﷺ ما دعوا بدعاء، و أرادوا منه الإجابة، إلا واستجاب لهم الله سبحانه.

وقد قال الإمام الهاديﷺ: «إنّ الله تعالى علمَ منا أنّا لا نلجأ في المهمّات إلا إليه، ولا نتوكّل في الملمّات إلا عليه، وعوّدنا-إذا سألناه- الإجابة.»[2]

وهنا أذكر بعض ما ورد في استجابة دعوات الإمام الجوادﷺ..

---

[1] - مهج الدعوات ص٦٠ .

[2] - البحار ج٥٠ ص١٣٧.

عن (محمّد بن سنان)، قال: دخلتُ على أبي الحسن الهادي، فقالعليه السلام: يا محمّد، حَدَثَ بـ(آل فرج) حدث؟

فقلت: مات (عمر).فقالعليه السلام: «الحمد لله.»

يقول (محمّد بن سنان): حتى أحصيتُ له عليه السلام أربعاً وعشرين مرة!.

فقلت: يا سيّدي، لو علمتُ أنّ هذا يسرّك، لجئتُ حافياً أعدو إليك.

قال عليه السلام:« يا محمّد، أوَلا تدري ما قال -لعنه الله- لمحمّد بن عليعليه السلام؟»

قال: قلت: لا.

قالعليه السلام: «خاطبَه في شيء، فقال: أظنّك سكران.

فقال أبيعليه السلام: «اللهمّ إنْ كنتَ تعلم أنّي أمسيتُ لك صائماً، فأذِقه طعم الحرب، وذُلّ الأسر.» فوالله ما إن ذهبتْ الأيام حتى حُرب ماله، وما كان له. ثمّ أُخذ أسيراً، وهو ذا قد مات لا رحمه الله. وقد أدال اللهُ عزّ وجل منه، وما زال يُديل أولياءَه من أعدائه».[1]

وروى (محمّد بن عمير)، قال: كان يصيبني وجعٌ في خاصرتي في كلّ أسبوع، ويشتدّ ذلك بي آياماً.

فسألته-الإمام الجوادعليه السلام-أن يدعو لي بزواله عنّي.

فقالعليه السلام:«وأنت فعافاك الله.»

-يقول بن عمير-:فما عاد إلى هذه الغاية!.[2]

ويقول (عمير الرازي): دخلتُ على أبي جعفر بن الرضاعليه السلام ومعي

---

[1] - أصول الكافي ج١ ص٤٩٦ باب مولد أبي جعفرعليه السلام.

[2] - كشف الغمّة ج٣ ص١٥.

أخي به (بهر)[1] شديد. فشكى إليه ذلك البهر. فقال(ع):«عافاك الله مما تشكو.»

يقول:فخرجنا من عنده(ع) وقد عوفي. فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات!.[2]

وعن (أبيَ هشام)، قال: دخلتُ معه(ع) ذات يوم بستاناً، فقلتُ له: جُعلتُ فداك، إنّي مولع بذكر الطين، فادع الله لي.

يقول أبو هشام: فسكتُ. ثمّ قال(ع) لي بعد أيّام: يا أبا هشام، قد أذهب الله عنك أكل الطين.

قلت: فما شيء أبغ إليّ منه.[3]

أقول: إذا كان الله لا يردّ طلب مَن عنده بعض علم الكتاب، حيث ذكر سبحانه في قصّة سليمان مع بلقيس، بعد ما سأل النبيّ قائلاً:

(يا أيّها الملؤا أيّكم يأتيني بعرشِها قبلَ أنْ يأتوني مسلمين * قال عفريتٌ من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقومَ من مقامك وإنّي عليه لقويٌّ أمين * قال الذي عنده علمٌ من الكتب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفُك، فلمّا رأءه مستقرّاً عنده، قال هذا من فضل ربّي ليبلوني، أأشكر أم أكفر) [4]

---

[1] – البهرة هي تتابع النفس.

[2] – البحار ج٥٠ ص٤٧.

[3] – الخرائج والجرائح ج٢ ص٦٦٥، وفي الكافي ج١ ص٤٩٥.

[4] – النمل/ ٣٧، ٣٨، ٣٩.

فإذا كان الأمر هكذا لمن كان عنده (علمٌ مِن الكتاب)[1]، فكيف بالذين عندهم علم الكتاب كلّه؟

يقول تعالى:**(قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علمُ الكتاب)**[2]

وقد ورد في تفسير هذه الآية عن الإمام الباقرﷺ:«نَزَلَتْ في عليٍّﷺ بعد رسول اللهﷺ، وفي الأئمة بعده.»[3]

---

[1] - هو آصف بن برخيا الذي أوصى النبيّ سليمان إليه، وهو أوصى إلى زكريّا من بعده(راجع الفقيه ج٤ ص١٧٦).

[2] - الرعد / ٤٣.

[3] - وفي حديث آخر عن (سدير) قال: كنتُ أنا و(أبو بصير) و(يحيى البزاز) و(داود بن كثير – الرقّي-)في مجلس أبي عبد الله ﷺإذ خرج علينا..فقالﷺ: «يا سدير، ألم تقرأ القرآن؟» قلت: بلى.

قالﷺ: «فهل وجدتَ فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ: **(قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك)**؟»قال: قلت: جُعلتُ فداك قد قرأته.قالﷺ: «فهل عرفتَ الرّجل، وهل علمتَ ما كان عنده علم الكتاب؟» قال: قلت: أخبرني به.قالﷺ: «قدر قطرة من الماء في البحر، فما ذاك من علم الكتاب ؟» قال: قلت: جُعلت فداك، ما أقلّ هذا!قال: فقال ﷺ: «يا سدير، ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ أيضا:(**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)**؟»قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك. قالﷺ : «فمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم، أم من عنده علم الكتاب بعضه؟»

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومىﷺ بيده إلى صدره وقال: «علمُ الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا». (تفسير نور الثقلين ج٢ ص٥٢٣)

«٧»

زواج الإمام الجواد

١
أمّ الفضل(زينب بنت المأمون)

عندما جاء الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد -بعد أن طلبه المأمون إليها في دعوة رسميّة-، استقبله مع وفده الملوكي استقبالاً حافلاً مهيبا.

وكان المأمون قد نوى من دعوة الإمام عليه السلام أن يزوّجه من ابنته(زينب). فعرض على أعوانه وأهله من بني العبّاس فِكرته في تزويجه ابنته إيّاه عليه السلام، لكنّهم قامت قيامتهم في معارضتهم إيّاه، ولم يشاطروه في الرأي، -وكانوا في ذلك اليوم ثلاثاً وثلاثين ألفا!-. والسبب أنّهم خافوا على الخلافة، من أن تزوى عنهم إلى بني فاطمة..

ولكنّهم لم يفهموا دهاء المأمون، ولم يعلموا سرّ فكرته. فظنّوا أنّه إذا تمّ الزواج، فسوف يتقلّص نفوذهم وتضعف إمكانياتهم.

ولهذا قاموا وقعدوا وبذلوا محاولات كثيرة للحيلولة دون هذا الأمر.

وبقي الأمر هكذا، إلى أن اتفقت كلمتهم على امتحان الإمام عليه السلام في مسألة يحيى بن أكثم التميمي[1]. ولمّا سُئل الإمام فأجاب بالردّ المُقنِع، رضوا بالأمر وقبلوا التزويج..

---

[1] - مرّ الكلام فيما ما جرى بين العباسيين ويحيى، وبين الإمام عليه السلام في باب علومه عليه السلام.

وهناك قال المأمون: الحمدُ لله على هذه النّعمة والتوفيق لي في الرأي.

ثم أدار طرفه، وتوجّه نحو مَن استنكر فكرته مِن قبل قائلاً: أعَرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟.

و أقبل على أبي جعفر الجواد ﷺ فقال: أتخطب يا أبا جعفر؟

قال ﷺ: «نعم..»

فقال له المأمون: أخطب لنفسك أمَّ الفضل.

فقال أبو جعفر ﷺ:

«الحمدُ لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيّته، وصلّى الله على محمدٍ سيّد بريّته والأصفياء من عترته.»

«أمّا بعد، فقد كان من فضل الله على الأنام، أن أغناهم بالحلال عن الحرام، وقال سبحانه:(**أنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادِكم وإمائكم إن يكونوا فقراءَ يغنهم اللهُ من فضلهِ والله واسعٌ عليم**)[1] ثمّ إنّ محمّد بن علي بن موسى، يخطب أمَّ الفضل بنت عبد الله المأمون. وقد بذل لها من الصداق، مهر جدّته فاطمة ﷺ بنت محمّد ﷺ، وهو خمسمائة درهم جياداً. فهل زوّجته -يا أمير المؤمنين- بها على هذا الصداق المذكور؟» فقال المأمون: نَعم، قد زوّجتُك -يا أبا جعفر- أمَّ الفضل ابنتي على الصداق المذكور. فهل قبلتَ النكاح؟ فقال أبو جعفر ﷺ: «قد قبلتُ ذلك ورضيتُ به.»[2]

[1] - سورة النور / ٣٢.

[2] - روضة الواعظين ص٢٠٥.

ثمّ أمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصّة والعامّة.

قال الرّيان: و لم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم. فإذا الخدم يجرّون سفينة مصنوعة من فضّة، مشدودة بالحبال من الأبريسم، على عجلة مملوءة من الغاليّة[1].

ثم أمر المأمون أن تخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية. ثم مُدّت إلى دار العامّة، فتطيّبوا منها ووُضعت الموائد، فأكلَ الناسُ. وأخرجوا الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم.

فلمّا تفرّق الناس، وبقي من الخاصّة مَن بقي، سأل المأمونُ أن يجيبﷺ على تلك التفريعات، فأجابه.[2]

ثم قال المأمون: أحسنتَ يا أبا جعفر، أحسن الله إليك. فإن رأيتَ أن تسألَ يحيى عن مسألة كما سألك؟

فقال أبو جعفر ﷺ: «أخبِرني عن رجلٍ نظر إلى امرأة في أوّل النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه.

فلمّا ارتفع النهار حلّت له.

فلمّا زالت الشمس، حرمت عليه.

فلمّا كان وقت العصر، حلّت له.

فلمّا غربت الشمس حرمت عليه.

فلمّا دخل وقتُ العشاء الآخرة حلّت له.

---

[1] - نوع من العطر.

[2] - قد مرّ ذلك مفصّلاً فراجع.

فلمّا كان وقتُ انتصاف الليل حرمت عليه.

فلمّا طلع الفجر حلّت له، ما حالُ هذه المرأة؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟»

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرفُ الوجه فيه!!، فإن رأيتَ أن تفيدنا.

فقال أبو جعفر ﷺ: «هذه أَمَة لرَجلٍ من الناس، نظرَ إليها أجنبيّ في أول النهار، فكان نظرُه إليها حراماً عليه.

فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها[1] فحلّت له.

فلمّا كان عند الظهر، أعتقها فحرمت عليه.

فلمّا كان وقتُ العصر تزوّجها، فحلّت له.

فلمّا كان وقتُ المغرب، ظاهرَ منها فحرمت عليه.[2]

فلمّا كان وقتُ العشاء الآخرة، كفّر عن الظهار، فحلّتْ له.

فلمّا كان نصفُ الليل، طلّقها واحدة، فحرُمت عليه.

فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له.»

فمضى المأمون يمدح الإمامَ ﷺ ويذكر فضائله!.[3]

وأورد ابن شهر آشوب موقفاً للإمام ﷺ، وقيل أنّه كان السبب الرئيسي لتزويج المأمون الإمامَ ﷺ من ابنته،وهو أنّه: (احتاز

---

[1] - ابتاعها أي: اشتراها.

[2] - أي قال لها: أنتِ عليّ كظهر امّي.

[3] - البحار ج٥٠ ص٧٣، ٧٩ نقلاً عن الاحتجاج ص٢٢٧.

المأمونُ بابن الرّضاﷺ، وهو بين الصبيان، فهربوا سواهﷺ، فقال المأمون: علَيَّ به.

-فلمّا جاءوا به-قال له: مالك ما هربتَ؟

قالﷺ:«مالي ذنبٌ فأفرّ، ولا الطريق ضيّق فأوسّعه عليك. مُر مِن حيث شئتَ.»

فقال المأمون: مَن تكون؟

قالﷺله:«أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.»

فترحّم الخليفة على أبيه، وساق جواده إلى نحو وجهته.

وكان معه بزاة الصيد. فلمّا بَعُد عن العمارة، أخذ المأمون بازياً منها، وأرسل على درّاجة، فغاب البازي عنه قليلاً، ثمّ عاد، وقد صاد حيّة. فوضع المأمون الحيّة في بيت الطعم..

ولّما عاد ابن الرضاﷺ في جملة الصبيان، قال:ما عندكم مِن أخبار السماوات؟

فقالﷺ: «نَعم يا أمير، حَدّثني أبي عن أبيه عن النبيّ عن جبرائيل عن ربّ العالمين أنّه قال: «بين السماء والأرض بحر عجاج يتلاطم به الأمواج، فيه حيّات خضر البطون، رقط الظهور، يصيدها الملوك بالبزاة الشهب، يمتحن به العلماء.»

فقال: صدقتَ وصدق جدّك وصدق ربّك. فأركبَه وزوّجه.[1]

وفي رواية: (..عاد البازي، وفي منقاره سمكة صغيرة..فسأل المأمون الإمام: ما في يدي؟

فقال الإمامﷺ: «إنّ الله تعالى خلق في بحر قدرته، المستمسك في الجوّ ببديع حكمته، سمكاً صغاراً. فصاد منها بزاة الخلفاء، كي يختبر بها سلالة بيت المصطفى.»

فلمّا سمع المأمون كلامه، تعجّب منه وأكثر، وجعل يطيل فيه، وقال: أنت ابن الرضا حقّا، ومِن بيت المصطفى صدقا.

وأخذه معه، وأحسن إليه، وقرّبه، وبالغ في إكرامه وإجلاله وإعظامه..)[2]

فتزوّج الإمام بأمّ الفضل، وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر.[3]

وقد يجول السؤال التالي في الأذهان، وهو: لماذا قَبِل الإمامُﷺ تزويجه مع بنت المأمون، وصار صهراً للخليفة، والحال أنّ المأمون كان غاصباً لحقّهﷺ وكان قد قتل الرضّاﷺ من قبل؟

أوّلا: الأمر كان خارجا عن اختيار الإمامﷺ. فهل يصعب على قاتل أبيه أن يلحقه بأبيه؟ ثمّ هل يسعد للإمامﷺ العيش بين أعدائه الألدّاء، وحسّاده الظَلَمة! ولكن لّما كانت حياته مهدّدة بالقتل، وافق على الزواج، كي يمنع المأمون من أن يغتاله وآله.

---

[1] - مدينة المعاجز ص٥٣٣، وفي البحار بنفس المضمون.

[2] - الفصول المهمّة ص٢٦٦.

[3] - الإرشاد ص٣١٩.

وكان الإمام يعبّر عن ضيق صدره بتلك الوضعيّة المؤلمة التي كان يعيش فيها بين المأمون ومَن لفّ لفّه، بل كان يرى الموت له هو الفرج، كما روي عنه أنّه قال: «الفرج بعد المأمون بثلاثين شهرا.» [1]

ثانياً: زواج الإمامﷺ من بنت الخليفة، ضيّق على الخليفة نفسه سلطنته في الفتك على أصحاب الإمام وشيعته، من قتلهم أو سجنهم أو ما شابه.

وهذا -بحدّ ذاته- كان سبباً لازدياد موالي الإمامﷺ والمائلين إليه...

٢

سمانة المغربيّة(أمّ الإمام الهاديﷺ)

لم يرزق إمامنا الجوادﷺ ولداً من زوجته الأولى أمّ الفضل، لأنّها كانت عاقراً لا تلد.

فمضت السنون ولم يكنﷺ قد رُزق الذريّة. وذلك لحكمة قدّرها الله. ولعلّ منها ألاّ ينتهز المأمون الفرصة، ويدّعي أنّ الأئمّة من وُلده لتكون له شرعيّة الخلافة. ولأنّ ربّنا شاء أن يجعل الأئمّة من أصلاب طاهرين، إلى أرحام نقيّات مطهّرات، مَن لم يخالطهم نجس الشرك والنفاق، أي

---

[1] - البحار ج٥٠ ص٦٤.ويقول الراوي: فنظرنا، فماتﷺ بعد ثلاثين شهرا.

ممن أذهب الله عنهم رجس الجاهليّة، فلم تنجّسهم بأنجاسها، ولم تلبسهم من مدلهمّات ثيابها..

فلمّا علم الإمام أن أمّ الفضل ليست فيها المؤهّلات في أن تكون والدة حجّة الله، وليست متوفّرة فيها شروط أمّهات الأئمّة، حينئذ تزوّج عليه السلام بـ(سمانة) المغربيّة، الراجع نسبها إلى عمّار بن ياسر الصحابيّ (وقيل إلى مارية القبطيّة)..

وقد روي عن الإمام الهادي عليه السلام، أنّه قال في حقّ أمّه (سمانة): «أمّي عارفة بحقّي، وهي مِن أهل الجنّة، ما يقربها شيطان مريد، ولا ينالها كيد جبّار عنيد. وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلّف عن أمّهات الصدّيقين والصالحين.»[1]

وكانت زوجة الإمام الأولى (أمّ الفضل) تلتهب غيرة وحسداً من (سمانة) لما صرّحت به لأبيها و لـ(حكيمة) وغيرهما. حتى قيل أنّ السبب الذي دفعها لقتل الإمامَ الجواد عليه السلام كان زواجه عليه السلام من سمانة!.

* * *

ومن هذه المرأة الجليلة (سمانة) رَزق اللهُ الإمام عليه السلام وَلدين: الإمام الهادي عليه السلام، ومن بعده: (موسى) المعروف بـ(المُبرقَع)، وهو الذي ينتهي نسب السادة الرضويّين إليه.

[1] - إثبات الوصيّة:ص٢٢٨،دلائل الإمامة:ص٤١٠، مدينة المعاجز :ج٧ ص٤٢٠.

كان موسى حَسَن الوجه، جميل الصورة. وسبب تسميته بالـ(مبرقع) لأنّ الناس كانوا يطيلون النظر إليه، فكان (يبرقع وجهه)[1] حتى يستريح من كثرة نظر الناس إليه.

وموسى هو أوّل مَن انتقل من الكوفة إلى (قُم) من السادات الرضويّة في سنة ٢٥٦هـ.

وتوفّي سنة ٢٩٦[2]، في داره بقُم[3]..

وقد أفرد المحدّث النوري في أحواله رسالة سمّاها: (البدر المشعشع في أحوال موسى المبرقع).[4]

* * *

وكان الإمام الجواد عليه السلام يلاطف ولديه. ويشبّه الإمام الهادي عليه السلام بنفسه، وموسى بأمّه.

فإنّه لّما أراد عليه السلام الخروج مِن المدينة إلى العراق ومعاودتها، أجلس أبا الحسن عليه السلام في حجره -بعد النصّ عليه-، وقال عليه السلام:

«ما الذي تحبّ أن أهدي إليك مِن طرائف العراق؟»

فقال عليه السلام: «سَيفاً كأنّه شعلة نار»

ثمّ التفت عليه السلام إلى موسى ابنه، وقال له: « ما تحبّ أنت؟»

---

[1] - البرقُع: هو شيءٌ يُستَر به الوجه، وفيه ثقبان أمام العينين للرؤية.

[2] - البحار ج٥٠ ص١٦٠

[3] - البحار ج٥٠ ص١٥

[4] - راجع تحف العقول ص٤٧٦

فقال: فَرس.

فقال-أبو جعفر-: ﷺ«أشبهني أبو الحسنﷺ، وأشبه هذا أمّه.» [1]

* * *

وأعطى الله الإمامَ الجوادﷺ من أمّ الإمام الهادي بناتاً أيضاً.

ولكن أختُلف في عددهنّ، فقيل اثنتين: (فاطمة وأمامة.) [2] وقيل ثلاثة: (حكيمة و خديجة وأم كلثوم.) [3] وقيل أربع: (فاطمة و خديجة و أم كلثوم وحكيمة.) [4]

أمّا السيّدة حكيمة، فهي التي كان لها دور القابلة في ولادة الإمام المهديّ المنتظرﷺ [5]، وهي التي رَوت حرز الإمام الجوادﷺ، [6] وتوفّيت في مدينة سامراء ودُفنت في جوار أخيها الإمام عليّ الهاديﷺ.

وفي البحار: كنّ -بنات الإمام-ثلاثة: زينب وأمّ محمّد وميمونة. توفّين في قُم، ودفنهنّ موسى المبرقع عند فاطمة المعصومة. [7]

---

[1] - عيون المعجزات: ص١٣٣

[2] - قول الشيخ المفيد في (الإرشاد).

[3] - ابن شهر آشوب في (المناقب).

[4] - ضامن بن شَدقم في (تحفة الأزهار في ذكر نسب أولاد الأئمّة الأطهار).

[5] - إكمال الدين ص٤٢٤ ج١

[6] - والحرز هو: « يا نورُ يا برهان، يا مبيِّن يا منير، يا ربّ اكفني الشرور وآفات الدّهور، وأسألك النجاة يوم يُنفخ في الصور.» (مفاتيح الجنان ص١٠٩٥-دار الأضواء).

[7] - البحار ج٥٠ ص١٦١

وأمّا التفصيل في حياتهنّ، فقد سكت التاريخ عن ترجمة ذلك. ومَن أزواجهنّ وأولادهنّ وما شابه؟.وهناك قول مشكوك فيه بأنّهنّ لم يتزوّجن[1] لأسباب مجهولة..

[1] - راجع كتاب حياة أولي النهى\الإمام الجواد ﷺ ص٥٦.

«٨»

في عصر المعتصم العبّاسي

قضى الإمام الجواد عليه السلام أكثر عمره، -كما يقول المؤرّخون- في بغداد. وكان المسلمون يفدون إليه من شرق الأرض وغربها، ليأخــذوا من علمه وينهلوا من فيضه، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام لم يكن يرضيه التــنعّم في قصور العبّاسين، ولكن أوامر المأمون هي التي أجبرته على أن يقيم فيها مضطهدا..

يقول (حسين المكاريّ):

دخلتُ عليه عليه السلام في بغداد، ففكرتُ فيما به عليه السلام من نِعَم. وقلتُ في نفسي: (إنّ هذا الرّجل -يعني الإمام- لا يرجع إلى موطنه أبداً.)

فأطرق عليه السلام رأسَه، ثمّ رفعه، وقد اصفرّ لونه، فقال عليه السلام: «يا حسين، خبــز شعير وملح جريش في حَرم رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ مما تراني فيه. »[1]

وما أن لاحت أوّل فرصة للإمام الجواد عليه السلام، تراه يقفل راجعــاً إلى المدينة، بعد أن أذن له المأمون إلى الحجّ..

فسار عليه السلام عن طريق الكوفة..فشيّعته الشيعة، واستقبلوه استقبالاً حافلاً. ثم ودّعهم وودّعوه. ومضى إلى المدينة المنوّرة..

* * *

[1] - بحار الأنوار ج١٢ ص١١٠.

وحينما وصل عليه السلام إلى المدينة، كان قد آن أوان هلاك
المأمون..إلى حيث مأوى قتلة الأئمّة: النار وبئس المصير.

فمات في (البدندون)[1] في شهر رجب عام ٢١٨، ودُفن فيها بعد أن أوصى إلى أخيه المعتصم بالتصدّي للرئاسة بعده..

* * *

كان المأمون يمتاز عن أسلافه بثقافة مشفوعة بالدهاء والذكاء. وسياسة مرادفة للشيطنة والنفاق..فكان ذكيّاً في خداعه ومكره، بحيث التبس أمره على أهل زمانه، بل وحتى الأزمنة التي تأخّرت عنه إلى يومنا هذا![2]

أمّا المعتصم (محمّد بن هارون الرشيد)، ثامن خلفاء بني العبّاس..فإنّه خرج نافجاً حضنيه، آكلاً الحقوق أكلاً لمّا. وكان قد أخبر عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وثامِنُهُم كَلبُهُم».

راح هذا الرجل يوطد حكمه بكلّ ما استطاع من قوّة. فلم يقصّر في الترف والبذخ والكبرياء، حتى وصل إلى درجة لم يسبقه إليها أسلافه..

---

[1] - و قيل أنه المأمون مات في قرية من نواحي (طرطوس)، وهي قرية على الحدود الفاصلة بين الدولة الإسلاميّة والدولة الرومانيّة.

[2] - فترى البعض يحسن الظنّ به، بل ويعتبره من الشيعة استناداً على كلامٍ منقول عنه أنّه قال: أعَلتم كيف تشيّعتُ؟. ولكنّه، للكفر أقرب منه للإيمان، لأنّ التشيّع توفيق لا يناله خليفة غاصب لحقّ الإمامة.

حتّى أنّه عندما مات، ترك (ثمانية الآف ألف دينار، وثمانية عشر ألف ألف درهم، وثمانين ألف من الخيل، وثمانين ألف من الجمال والبغال، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وقد قَتل من الناس عشرات الآلاف!.) [1]

وقد ذكر دعبل الخزاعيّ أبياتاً فيه، يقول:

ملوكُ بني العبّاس في الكتب سبعةٌ ... ولم يأتنا من ثامنٍ لهم كتُبُ
كذلك أهلُ الكهف، في الكهف سبعةٌ ... غداة ثووا فيها وثامنهم كلبُ
وإنّي لأزهى كلبهم عنك رغبة ... لأنّك ذو ذنب و ليس له ذنبُ
لقد ضاع ملكُ الناس إذ ساس ملكهم ... وصيف و(أشناس)وقد عظم الكربُ
و(فضل بن مروان)[2] يسلم ثلمة ... يظلّ لها الإسلام، ليس له شعبُ
و إنّي لأرجوا أن ترى من مغبّها ... مطالع شمس يغصّ بها الشربُ [3]

* * *

وكانت حكومة المعتصم في بغداد أيضا. ففكّر في أنّ الإمام الجوادﷺ هو صهر الحاكم الراحل، وسيّد أهل البيت العلويّ، وإمام الشيعة وقائدهم-و هم قوّة هائلة معلنة الولاء لهﷺ على رؤوس

[1] -راجع كتاب الإمام الجواد من المهد إلى اللحد.

[2] - كان وزيراً للمعتصم عاميّاً ، لا علم له، رديّ السيرة جهولاً بالأمور. (الآداب السلطانية للفخري ص١٧٤)

[3] - الأغاني ج١٨ ص٤٠ .

الأشهاد-، فخاف على نفسه وحكومته. فأشخص الإمامَ من المدينة إلى بغداد، كي يكونﷺ تحت أنظاره الشخصيّة.

وخرج الإمام (ليلة الثالث مِن محرّم الحرام سنة ٢٢٠) وهو يعلم أنّ رحلته هذه لا رجعة فيها.

يقول أحدهم: لّما خرج أبو جعفرﷺ من المدينة إلى بغداد، (في المرّة الأولى وفي زمن المأمون) قلتُ له عند خروجه: جُعلتُ فداك، إنّي أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى مَن الأمر بعدك؟

يقول الراوي: فكرّﷺ بوجهه إليّ ضاحكاً، وقال: «ليس حيث ظننتَ في هذه السّنة.»

يقول: فلمّا أُخرج به الثانية إلى المعتصم، صرتُ إليه، فقلتُ له: جُعلتُ فداك، أنت خارج، فإلى مَن الأمر من بعدك؟

فبكىﷺ حتى اخضلّت لحيته، ثم التفت إليّ، فقالﷺ: «عند هذه يُخاف عليّ، الأمر بعدي إلى ابني علي.»[1]

وفي حديث آخر، أنّ الإمامﷺ خرج من المدينة وهو يقول: «ما أطيبك يا طيبة! فلستُ بعائد إليك.»[2]

---

[1] - الكافي ج١ ص٣٢٣ .

[2] - الثاقب في المناقب ص٥١٦ ح٤٤٤.

«٩»

وفي بغداد . .

دخل الإمام الجوادﷺ بغداد يوم ٢٨ من محرّم الحرام.

أمّا ما جرى في تلك العاصمة في تلك السفرة، فإنيّ لم أجد -خلال إطلاعي القاصر-، إلا القليل من الروايات حول ما جرى وحصل، وماذا قال الإمام الجوادﷺ وماذا فعل.. وأظنّ أنّ سبب ذلك هو ثلاث أمور أساسيّة:

الأول: لأنّ مردة التاريخ والسلطات الجائرة محتها وأحرقتها وألقتها في الأنهار والبحار، ثمّ صنّفت ما جرى على حسب مزاجها وبنفعها. ومن أجْله لم تَذكر مواقفَ الإمام ومقولاته لما كان يضرّ بدنياها، ويظهر دفائن ديدنها، وذلك في كلّ مكان أمكنها الحذف أو التبديل، وخصوصاً في مدينة بغداد، حيث كانت مقرَّ النظام الحاكم، و محطّ رحل أعوان السلطة والمائلين إليهم.

الثاني: لأنّ الإمام الجوادﷺ (كان رهن الإقامة الجبريّة في داره في بغداد، و لم يكن بمقدوره الخروج.) [1]

---

[1] - وفاة الإمام الجواد للمقرّم ص٦٥

الثالث: لقلّة بقاء الإمامﷺ في تلك المدينة في المـــرّة الأخـــيرة، حيث إنّه دخلها في ٢٨ من محرّم، وإلى ٢٩ من ذي القعدة من نفـــس تلك السّنة، حيث استشهد فيها.

وإليك بعض الحوادث التي جرت من النـــزر اليسير الذي وصل إلينـــا عنهﷺ هناك..

- قال (احمد بن أبي دؤاد)[1]: إنّ سارقاً أقرّ على نفســـه وســـأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء وأحضر محمّد بن عليّﷺ فسألَنا المعتصمُ عن القطع في أيّ موضع يجب؟

فقلت: الكرسوع.[2]

فقال المعتصم: وما الحجّة في ذلك؟

فقلت: لأنّ اليد هي الأصابع، والكفّ إلى الكرسوع، يقول الله تعالى في التيمّم: **(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم)**. واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق لأنّ الله تعالى لمـــا قـــال: **(و أيديكم إلى المرافق)** دلّ على أنّ حدّ اليد هو المرفق.

فالتفت إلى محمّد بن علي ﷺ فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال ﷺ: «قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين»

قال: دعني مما تكلموا به، أيّ شيء عندك ؟

---

[1] – أحمد بن أبي دؤاد: قاضي القضاة عُيّن من قِبَل المعتصم. و في بعض النسخ: أبي داود وهـــو تصحيف.

[2] – الكرسوع: هو طرف الزند الثاني مما يلي الخنصر.

قال ﷺ: «اعفني من هذا»

قال: أقسمتُ عليك بالله لما أخبرتَ بما عندك فيه.

فقال ﷺ: «أمّا إذا أقسمتَ عليّ بالله، فإني أقولُ: إنّهم اخطئوا فيه السنّة فإنّ القطع يجب أن يكون عن مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ.»

قال: وما الحجّة في ذلك؟

قال ﷺ: «قول رسول الله ﷺ: «السجود على سبعة أعظاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين» فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تعالى: **(وإنّ المساجد لله)** يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع.»

فأعجب المعتصم بذلك وأمر يقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.[1]

* *

▪ عن (جعفر بن محمّد بن مزيد) قال: كنتُ ببغداد، فقال لي (محمّد بن منذر): هل لك أنْ أدخلك على محمّد بن علي الرّضا رضي الله عنهما؟

فقلت: نعم. فأدخَلَني عليه، فسلّمنا وجلسنا.

---

[1] - أعيان الشيعة ٤ق/ ٣ / ٣٥٠.

فقال له: حديث رسول الله ﷺ: «إنّ فاطمة أحصنت فرجها، فحرّم الله ذريتها على النار»؟

قال ﷺ: «خاصّ للحسن والحسن رضى الله عنهما.»[1]

* *

■ عن (أحمد الخاقاني)، قال: (قُطع الطريق بـ(جلولا) على السابلة[2]، من الحجاج وغيرهم، وافلت القطاع، وطلبهم العامل حتى ظفر بهم. ثم كتب بذلك إلى المعتصم، فجمع الفقهاء و(ابن أبي دؤاد)، ثم سأل الآخرين عن الحكم فيهم، وأبو جعفر محمّد بن علي الرّضا ﷺ حاضر.

فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قوله:(**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**)ولأمير المومنين أن يحكم بأيّ ذلك شاء.

فالتفت إلى أبي جعفر ﷺ وقال: أخبرني بما عندك؟

قال ﷺ: «إنهم قد أضلّوا فيما أفتوا به. والذي يجب في ذلك، أن ينظر أمير المؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق، فإن كانوا أخافوا السبيل فقط، و لم يقتلوا أحداً و لم يأخذوا مالاً، أمر بإيداعهم الحبس،

---

[1] - الأئمة الإثنى عشر ص١٠٤.

[2] - السابلة: أبناء السبيل، المختلفون على الطرقات في حوائجهم.(لسان العرب ج١١ ص٣١٩)

فإنّ ذلك معنى نفْيهم من الأرض بإخافتهم السبيل. وإنْ كانوا أخافوا وقتلوا النفس، أُمر بقتلهم.وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس وأخذوا المال، أُمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بعد ذلك.»

فكتب إلى العامل بأن يمتثل ذلك فيهم.)[1]

وبهت (أبو دؤاد) و(جعفر بن المأمون)، و المعتصم حينما ظهر حكمُ الله على لسان الإمامﷺ، فأضحوا مخزيّين مدحورين، بعد ما افتروا وامتروا واختلقوا ما ينبوا عنه الدّين..

ولّما رأوا أنّ ذلك الدين، هو الحقّ الذي لن ينطمس مهما رموه بسهام البغض والضغينة، ولن ينطفئ مهما حاربوه بألسنتهم، ولن يترهق مهما جاءوا بالباطل، وأنّ مكرهم لن يهزّ عروش الحق في شيء.. لّما استيقنوا بذلك كلّه، لجئوا إلى آخر ما في جعبتهم: قتل الإمام الجوادﷺ !فصمّموا على اغتيالهﷺ بأمر المعتصم..

وقد نظم الشيخ جعفر النقدي -لله دّره وعلى الله برّه- في أولئك الجناة أبياتاً، فيها يقول:

و ما ارتدعوا (بنو العبّاس) عمّا قلوبهمُ حوته من عنادِ
فساموه الأذى حَسَداً ببغي لهم قد فاق شرّاً بغيَ (عادِ)

[1] - وسائل الشيعة ج١٨ ص٥٣٦ .

و دسّ لقتلــه سمّـــاً ذُعافـــاً زنيمٌ ، لــيس يــؤمن بالمعــادِ
فأغضب ربّــه فيمــا جنــاهُ وأرضى (أحدَ بــن أبي دؤادِ)
وبات الطُهر ، والأحشاء منــه بها نــارُ الأســى ذات إتّقــادِ
كأنّ فوادَه، و السُــمُّ فـــيه تقطّعـــه ظـــبى بـيضٍ حــدادِ
تُقَلّبه الشجون على بســـاطٍ من الأسقام،دامي القلبِ صادي[1]

---

[1] - حياة أولي النهى ص٢٦٠.

«١٠»

وحان دور الشهادة . .

لم يزل المعتصم العبّاسي، منذ أن نزا على كرسيّ الخلافة، يدبّر المؤمراة لقتل الإمام الجوادﷺ، وذلك بالمشاركة مع ابن أخيه (جعفر بن المأمون). حيث كانا يعلمان أنّ ذلك الموقع ليس حقّاً من حقوق بني العباس على الإطلاق. وأنّ الخلافة ليست إليهم تعود. وأنّ اليد الحاكمة، هي ليست يد حق، بل هي يد غصب..

ولكنّهم، لكي يصادروا الحقوق، و يحجبوا الحقائق، دبّروا قتل الإمامﷺ، حتى يقطوا دابر الإمامة، وحتى تنطوي دنياهم بدون صاحب حقّ الخلافة، وثائر لله على طغيانهم، وقائم يطلب مَن يبغي على الأرض الفساد.

والإمام الجوادﷺ، بدوره، كان يعلم نوايا القوم..لن يبرد غليلهم إلا بعد قتله،كما لم يُشف صدور أسلافهم إلا بعدما قتلوا أباهﷺ، لكنّه صبر على بلاء الله ليوفّيه أجور آباءه الصابرين.

ولذا ورد في الحديث عن (محمّد بن الفرج) قال: كتبَ إليّ أبو جعفر ﷺ:« احملوا إليّ الخُمس، فإنّي لستُ آخذه منكم سوى عامي هذا.»[1]

* * *

[1] -مدينة المعاجز ج٧ ص٤٠١.

أمّا كيفيّة الوفاة، فإنّ الإمامﷺ بالطبع لم يمت حتف أنفه، و لم يذكر أحدٌ من المؤرخين أنّ الإمام أصيب بمرض أو داءٍ عضـــالٍ أودى بحياته. بل قد اتفقت كلمتهم على أنّ الإمام الجـــوادﷺ قضـــى نحبـــه مسموماً، وأنّ المعتصم كان وراء تلك الجريمة النكراء..

ولكنّهم اختلفوا في كيفيّة مقتله-روحي فداه-..

فمِن قائل (مثل الشيخ المفيد في إحدى رواياته): أنّهﷺ بقـــي بالمدينة إلى أواخر شهر محرّم الحرام من سنة ٢٢٠هـــ، وتـــوفي في ذي القعدة من تلك السنة.وذكر أنّ ابن أبي دؤاد حينما رأى أنّ المعتصم لم يأخذ برأيه، وحكم برأي الإمام ﷺ، قال آنذاك: فقامت قيامتي، وتمنّيتُ أنّي لم أكن حيّاً. ثمّ صرتُ إلى المعتصم بعد ثلاث أيّـــام، وقلـــتُ: إنّ نصيحة أمير المؤمنين واجبة، وأنا أكلّمه بما أعلم أنّي أدخل النار به.

فقال المعتصم: وما هو ؟

قلت: إذا جمع أميرُ المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيّته وعلمائهم، لأمر وقع من أمور الدين، وسألهم عن الحُكم فيه، فأخبروه بما عندهم، وقد حضر مجلسه قوّاده ووزراؤه وكُتّابه، وقد تسامع الناس ذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلَهم كلّهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمّة بإمامته، ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء!!

قال بن أبي دؤاد: فتغيّر لونه، وتنبّه لما نبّهته له.

فقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر في اليوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه أن يدعوا الجواد ﷺ إلى منزله. فدعاه، فأبي ﷺ أن يجيبه، وقال ﷺ: «لقد علمتَ أنّي لا أحضر مجالسكم.»

فقال: إنما أدعوك إلى الطعام، وأحبُّ أن تطأ ثيابي، وتدخل منزلي فأتبرّك بذلك، فقد أحبَّ فلانُ بن فلان -من وزراء المعتصم- لقاءَك.

فسار ﷺ إليه..ودسّ إليه السمّ في الطعام، فلمّا طعم ﷺ، أحسَّ بالسمّ، فدعى بدابّته، فسأله ربُّ المنزل أن يقيم، فقال ﷺ: «خروجي من منزلك خيرٌ لك.»

فلم يزل يومه ذاك وليلته يجود بنفسه ﷺ والسمّ يسري في بدنه حتى قبض.[1]

هذا على إحدى الروايات، وفي رواية أخرى: أنّ المعتصم دَعا بعض وزرائه، وأمَرَهم بأن يستشهدوا على محمّد بن علي الجواد ﷺ بأنّه أراد أن يخرج عليه بثورة يفجّرها مع تابعيه من الشيعة الإماميّة - وذلك لكي يسهل عليه أن يلقي به السجن أو يقتله قتلاً-.

فلمّا أُحضر الإمام ﷺ، التفت المعتصم إليه قائلاً: إنّك أردت أن تخرج عليّ؟!

فقال الإمام ﷺ: «والله ما فعلتُ شيئاً من ذلك.»

قال المعتصم: إنّ فلاناً وفلاناً شهدوا عليك.

---

[1] - النبي وأهل بيته (ع) ج٢ ص٢٣٧ ط بيروت نقلاً عن البحار ج٥٠ ص٥. وراجع كتاب: حياة أولي النهى للحكيمي الحائري(ره)

فأحضروا، فقالوا: نعم، هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك.

قال الراوي: وكان جالساً في (بهو)[1]، فرفع أبو جعفرﷺ يده وقال: «اللهمّ إنْ كانوا كذبوا عليّ فخذهم.»

-يقول-: فنظَرنا إلى ذلك البهو كيف يرجف ويذهب ويجيء، وكلّما قام واحدٌ وقع.

فقال المعتصم: يا بن رسول الله، إني تائبٌ مما فعلتُ، فادع ربّك أن يسكنه!.

فقالﷺ: «اللهمّ سكنّه، إنّك تعلم أنّهم أعداؤك وأعدائي.» فسكن.[2]

وفي المناقب: (لمّا بويع المعتصم، جعل يتفقّد أحواله- أحوال الإمام الجوادﷺ-، فكتب إلى عبد الملك الزيّات أن ينفذ إليهﷺو أمّ الفضل.

فأنفذ الزيّات علي بن يقطين إليه.فتجهّز، وخرج إلى بغداد، فأكرمه وعظّمه، وأنفذ-المعتصم-أشناس[3]بالتحف إليه وإلى أمّ الفضل.
ثمّ أنفذ شراب (حماض الإترج)[4]تحت ختمه على يدَي أشناس.

---

[1] - قاعة في مقدم الدار، و هو الآن ما يسمى في زماننا: صالة.

[2] - الخرائج للراوندي ص١٠٦.

[3]- أشناس: قائد تركي من قوّاد المعتصم العبّاسي.

[4]- حمّاض -على وزن:رمّان- وهو نبت حامض، له ورد أحمر.

فقال(أشناس) :إنّ أمير المؤمنين-المعتصم-ذاقه قبل (أحمد بن أبي دؤاد)، و(سعيد بن الخضيب)، وجماعة من المعروفين. ويأمرك أن تشرب منـــها بماء الثلج، وصُنع بالحال.

فقال :«أشربُها بالليل.»

قال(أشناس): إنها تنفع بارداً، وقد ذاب الثلج.

وأصرّ على ذلك، فشربها.)[1]

هذا ما روي في بعض الكتب، ولكنّ المشهور هـــو أنّ مقتـــل الإمام، كان على يد زوجته أمّ الفضل بأمر من المعتصم، كما جـــاء في أعيان الشيعة عن (المرتضى) في عيون المعجزات، قال:

(إنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر، وأشـــار على بنت المأمون: زوجته -زوجة الإمام- على قتله، لأنّه وقف[2] علـــى انحرافها عن أبي جعفر وشدّة غيرها عليه، لتفضيله زوجته الأخرى أمّ الإمام الهادي عليها، ولأنّه لم يرزق منها ولداً.

فأجابته إلى ذلك، وجعلت سمّاً في عنباً رازقيّ،[3]ووضعته بين يديه، فلمّا أكل منه، ندمت على ذلك، وجعلت تبكي!

فقال :«ما بكاؤكِ؟ والله ليضربنّك الله بعُقرٍ[1] لا ينجـــبر، وبـــلاءٍ لا ينستر.»

---

[1]- راجع حياة أولي النهى/كتاب الإمام الجواد، ص٢٣١.

[2]- وقف: علم وأطلع.

[3]- الرازقيّ هو نوع من أنواع العنب.

فماتت بعلّةٍ في أغمض المواضع من جوارحهـا، صـارت ناصـوراً،[2] فأنفقت مالها، وجميع ما ملكته على تلك العلّة..)[3]

وقد ورد في كلام الإمام الرضاﷺ لرجل من أصحابه(واسمـه: كليم بن عمران)، لّما وُلد ابنه أبو جعفرﷺ، قالﷺ :«قد وُلد لي شبيه موسى بن عمران.. يُقتل غصباً، فيبكي له وعليه أهلُ السماء، ويغضب الله تعالى على عدوّه و ظالمه، فلا يلبث إلا يسيراً، حتى يُعجّل الله به إلى عذابه الأليم، وعقابه الشديد.»[4]

وهكذا ودّعت شمسُ إمامتهﷺ الحياة، وسَقَطَت ثمرة أخرى من ثمار الدوحة المحمّديّة..فأمسىﷺ بالشهادة، أصغر الأئمّة عمراً، وأقلّهم بقاءاً في دار الفناء..

ولكنّهﷺ، بخمسة وعشرين ربيعاً، أدّى رسـالته حـقّ الأداء، وقضىﷺ منها وطره في ما أمره الله وافترضه -سبحانه- عليه..

تاريخ الإستشهاد

واختلفت الأقوال في تأريخ الوفاة أيضاً، فمِن قائل أنّه:

---

[1]- العقر: الجرح، وفي بعض النسخ :فقر بدل عقر.

[2]- الناصور أو الناسور: علّة أو قرحة في أسافل البدن.

[3]- راجع البحار ج٥٠ ص٤٥. وراجع أيضاً ص١٧ منه.

[4]- البحار ج٥٠ ص١٥.

(استشهد عليه السلام يوم السادس من ذي الحجة)[1]، وعدّ المسعودي وفاته عليه السلام في الخامس من شهر ذي الحجة سنة ٢١٩ هـ وعمره الشريف ٢٥ سنة وأشهر[2].

وجاء في (كشف الغمّة)[3] عن (محمّد بن سنان)، قال: (مضى المرتضى أبو جعفر الثاني عليه السلام وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً في سنة ٢٢٠ من الهجرة، ومضى إلى ربّه تعالى صابراً مظلوماً يوم الثلاثا على ساعتين من النهار. وقُبض عليه السلام في يوم الثلاثاء لستّ ليال خلون من ذي الحجة[4] .)[5] وهذا هو المشهور.

وعليه يكون مقامه عليه السلام مع أبيه الرضا عليه السلام سبع سنين وثلاثة أشهر..

ومهما كان الحال، فقد فارق الإمام عليه السلام الحياة، وهو في مقتبل العمر. وغاب كوكب الإمامة في بدايات حياته المباركة..

إنتهت تلك الحياة المشرقة المباركة، وهو رهن الإقامة الجبريّة..

وإستراح ابن رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الحياة الممزوجة بالمكاره والآلام، وتحقّقت أمنيّة المعتصم ومَن يدور في فلكه من الحاسدين والحاقدين..

ولنِعم ما قيل:

---

[1] - البحار ج٥٠ ص٦٤ نقلاً عن كشف الغمّة، والأحاديث في وصيّة الإمام الجواد لابنه كثيرة فراجع.

[2] - راجع مروج الذهب ج٣ ص٤٦٤.

[3] - كشف الغمة لمعرفة الأئمة ج٣ ص١٥٢.

[4] - الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد، ص٣٨١-٣٨٤.

[5] - دلائل الإمامة لابن جرير ص٢٠٨. و في حياة أولي النهى/الإمام الجواد،ص٢٣٣.

خمسٌ و عشرون انقضت لكنّما فيــها انجلى من نوره الإظلامُ
تلك السنــون حوافلٌ بعــطائه و قد ارتوت بمداده الأقــلامُ
إن لم يطــل عمرُ الجــواد فإنّه أغنى العقول فأشــرق الإلهــامُ

* * *

المثوى المبارك

كان الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) -في الإيّام التي كان في بغداد- قد اشترى أرضاً -في مقابر قريش- لنفسه قبل وفاته، ليُدفن فيها.[1] ولمّا قضى نحبه دُفن فيها..وفي نفس البقعة، دُفن الإمام الجواد(عليه السلام).

وهذه البقعة الطاهرة، والمقام المنيف-مرقد الإمامين(عليهما السلام)-، له تاريخ طويل، حافلٌ بالمصائب والمآسي، أذكر بعض ما جرى فيه، بصورة موجزة، نقلاً عن كتاب(أولي النهى)، والتفصيل مذكور في (الكامل) لإبن الأثير وغيره..

(بعدما دُفن الإمام الجواد(عليه السلام)عند قبر جدّه الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)، وانقضت فترة غير معلومة-عندنا-بُنيت على قبرهما بنية. وسمّيت البقعة بـ(الكاظمين). وكان الزائرون من الشيعة، يزورون الإمامين(عليهما السلام)من مسجد كان هناك، أو من وراء حجاب آخر، خوفاً من المناوئين.

وبمرور الزمان، بُنيت المساكن حول تلك البقعة المقدّسة، حتى صارت قريةً من قرى بغداد.

ووضعوا على القبرين ضريحين-بعد هدم البنية وتجديدهَا-.

---

[1]-كتاب الدرّ النظيم في مناقب الأئمة.

وفي أيّام الديالمة، إرتفع الخوف، وكثر إزدحام الزوّار من الشيعة، وكثرت البيوت والمساكن..

وفي سنة ٣٣٦ هجريّة، أمر معزّ الدولة أحمد بن بويه بتجديد عمارة المرقدَين، وتجديد الضريحين، وتزيين المقام. وبنى له صحناً واسعاً، رفيع الجدران. وعيّن جنوداً و عساكر لخدمة المقام، والمحافظة عليه.. فكان الناس يقصدون الزيارة أفواجاً أفواجاً، وكثر المجاورون للمقام.

وفي أيّام البويهيّين إزداد المقام شهرة، وازداد عدد الزوّار.

وفي سنة ٣٦٩، زاد عضد الدولة في تعمير المشهد داخلاً وخارجاً.

وفي سنة ٤٤٣، وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين الشيعة والسنّة..وأخيراً هجم أهل السنّة على مشهد الإمامين عليهما السلام، ونهبوا ما فيه من النفائس، وفي اليوم الآخر، أحرقوا المشهد، فأُحرق الضريحان والقبّتان!! وفي اليوم الآخر، أرادوا حفر قبر الإمام موسى بن جعفر والإمام محمّد الجواد عليهما السلام،لنقلهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، ولكنّ الله حال دون ذلك، ففشلوا وانقلبوا خائبين.وبين كلّ فترة وأخرى، كانت الفتن تثور بين الشّيعة والسّنّة في بغداد حول كلمة(حيّ على خير العمل)[1] في الأذان و(الصلاة خير من النوم)[1] وغير ذلك.

---

[1] -كانت كلمة(حيّ على خير العمل)من فصول الأذان والإقامة وجزءاً منهما، في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي حكومة أبي بكر، وشطر من حكومة عمر. ثمّ أسقط عمر هذا الفصل من الأذان والإقامة، وقال:(ثلاث كنّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهنّ:متعة النساء ومتعة الحجّ وحيّ على خير العمل).والعلّة في منعه (حيّ على خير العمل)هو في جواب

فكانت الأحقاد تُصَبّ على مرقد الإمامين الكاظمين(ع)، من نهب وهدم وإحراق، وما شابه ذلك.

ثمّ جُدّد البناء في سنة ٤٤٦.

وفي سنة ٤٩٠ قام أبو الفضل الأسعد بن موسى القمّي -أحد وزراء الملك شاه السلجوقي- بتعمير المشهد، وبنى الروضة المقدّسة بناء محكم الأساس.

ووَضَع صندوقين من السّاج على القبرين الشريفين، وبنى مأذنتين حول الروضة.

وفي سنة ٥١٧ أيضاً ثار المخالفون وهجموا على المشهد الشريف، وقلعوا الأبواب، ونهبوا ما وجدوا من قناديل الذّهب والفضّة والمعلّقات والنفائس، وخرّبوا ما وصلت إليه أيديهم من الزّينة، كلّ ذلك في أيّام المسترشد العبّاسي.

الإمام الرضا(ع)، حينما سأله (محمّد ابن أبي عمير) عن علّة تحريم عمر، فقال الإمام(ع):تريد العّلة الظاهرة أو الباطنة؟ قال:أريدهما جميعاً. فقال(ع):أمّا العلّة الظاهرة، فلئلا يدع الناس الجهاد اتكالاً على الصلاة، وأمّا-العّلة-الباطنة، فإن: (خير العمل): الولاية، فأراد من أمره بترك (حيّ على خير العمل) من الأذان أن لا يقع حثٌ عليها ودُعاء إليه. وسائل الشيعةج٢ أبواب الأذان والإقامة.

[1] - قال العلاّمة البحّاثة السيد عبد الحسين شرف الدين -أعلى الله مقامه- في كتاب (النصّ والاجتهاد): إنّا تتبعنا السنن المختصّة بفصول الأذان والإقامة على عهد رسول الله(ص) فلم يكن فيها: (الصلاة خير من النوم)، بل لم يكن هذا الفصل على عهد أبي بكر-كما يعلمه جهابذة السنن ونَقدة الحديث- وإنّما أمرَ به عمَر بعد مضيّ شطر من خلافته..

وفي سنة ٥٧٥ مات المستضيء بأمر الله العبّاسي، وقام ابنه الناصر لدين الله -وكان من الموالين للأئمة المعصومينعليهم السلام- فشرع ببناء المشهد الشريف وتعميره، وتزيين الصندوق، وبناء الرواق والمآذن وتوسيع الصحن والساحة، وبناء الحجرات في أطرافها وجوانبها.

وفي أيّام الظاهر بأمر الله -ابن الناصر لدين الله العبّاسي- وقع حريق عظيم في المشهد الشريف، فاحترق الأثاث والفرش والمصاحف والكتب، وسرت النار إلى الصندوق والضريح والقبّة الشريفة.

فأمر الظاهر بأمر الله وزيرَه بتعمير المشهد، وفي أثناء التعمير مات الظاهر، وقام ابنه المستنصر بالله، فأكمل التعمير.

وفي خلال هذه السنوات، كان شطّ دجلة يتفايض ماؤها، بصورة مكرّرة، ويُغرق البيوت والمحلاّت في بغداد، وتصل الفيضات إلى المشهد الشريف، فكانت الخسائر والأضرار كثيرة.

وفي سنة ٩٦٦، قام الشاه إسماعيل الصّفوي بتجديد عمارة المشهد من أساسه، وبنى القبّتين الشريفتين بطرز جميل أنيق، وعوّض المنارتين بأربع منائر، وبنى المسجد المعروف بـ(الجامع الصفوي) في شمال الروضة، وقام بخدمات وإنجازات جليلة أخرى.

وفي سنة ١٠٤٧، دخل السلطان العثماني مراد الرابع، فنهب جنودُه مدينة بغداد، وهجموا على الروضة الكاظميّة المقدّسة، ونهبوا ما فيها من النفائس من قناديل الذهب والفضّة وغيرها.

وفي سنة ١٢١١، أمر السلطان محمّد شاه القاجار، بتذهيب القبّتين الشريفتين، وتذهيب رؤوس المنائر الشريفة، وأمر بتذهيب الإيوان الصغير، وأمر بفرش الرواق والروضة بالمرمر الأبيض، وأضاف إلى سعة الصحن الشريف بعض البيوت المجاورة.

وفي سنة ١٢٨٧، أمر السلطان ناصر الدين شاه، بنصب ضريح فضّي على الضريح الفولاذي.

وفي سنة ١٢٩٣، قام فرهاد ميرزا-عمّ ناصر الدين شاه- ببناء الصحن وتجديد عمارته.. واشترى عدداً من البيوت المجاورة، وأضافها إلى سعة الصحن، وبنى في أطرافه الحجرات الجميلة، وزيّن جميع الجدران بالقاشاني، وفرش الصحن بالصخور الثمينة..)

ويناسب في هذا المجال، ذكر ما أنشده الشيخ البهائي-أعلى الله مقامه- بشأن مرقد الإمامين الكاظمين(عليهما السلام)، يقول:

ألا يا قاصدَ الزوّار عرّج	على الغربيِّ من تلك المغاني
ونعليك اخلعنْ واخضع خشوعاً	إذا لاحَت لديك القبّتانِ
فتحتهما-لعمرك- نار موسى	ونور محمّد يتلألآن[1]

* * *

[1]-راجع كتاب أولي النهى/الإمام الجواد(ع) ص٢٣٧-٢٤٢.

أقول: هذا مثــوى الإمــام الجــواد(ع)، المظلــوم، المقتــول بالسمّ..الذي كان -حيّاً وشهيداً-، هدفاً لسهام الأعداء..والذي كــان حرمه خلال أكثر من ٨٠٠ سَنة، لهزة الطامعين، ومبتغى سيوف الحقد.. فبين كلّ بُرهة وأخرى، ترى شعلة النار تضرم الضريح المقدَّس والروضة المباركة، فيقعان طعمة لها، وأحياناً للنهب والسرقة!..

ولكن، في هذا اليوم، وفي هذه الساعة..ذلك المثوى المنيــف، وتلك الروضة المقدّسة، يتلألآن نوراً وضياءاً، وروحانيّة وقدسيّة، وطهراً وازدهارا..

ثمّ وفي نفس هذا اليوم..أسأل: أين قبر المعتصم قاتل الإمام؟

أين قبر المأمون قاتل أبيه(ع)؟

أين قبر أمّ الفضل؟

أين قبور قاتلي الأئمّة الهداة الميامين؟

أين ما كانوا يحصدون؟ أين التيجان والقللُ؟ أين الصفراء والبيضاء؟ أين زهرة دنياهم التي لأجلها باعوا الآخرة؟

هل يعلم موضعَ دفنهم أحد؟..هل يترحّم عليهم أحد؟..هل أبقى الزمان لهم من باقية؟..

نَعم، إذا ما ذُكروا، فباللعن الأبديّ، كي يُقرنوا مــع فرعــون وهمــان ونمرود ، و(بئس مثوى المتكبّرين)..

و(إنّ هذه تذكرة، فمَن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلا).

«١١»

بعد الإمام الجواد

لما استشهد الإمام الجوادعليه السلام في بغداد، كان الإمام الهاديعليه السلام في المدينة.

وإنّ الغمّ الذي دخل فؤاد الإمام الجواد من قبل، عندما استشهد أبوهعليه السلام في خراسان، فعلِمَ أنّ أباه قد استشهد، كذلك حدث في مقتله لابنه الهاديعليه السلام.

ورد في البحار: (..بينما أبو الحسن الهاديعليه السلام جالسٌ مع مؤدبٍ له يكنّى: (أبو زكريّا)، -وأبو جعفرعليه السلام عندنا أنّه ببغداد-، وأبو الحسنعليه السلام يقرأ من اللوح على مؤدبه، إذ بكىعليه السلام بكاء شديداً، فسأله المؤدب: ما بكاؤك؟

فلم يجبهعليه السلام. فقال: ائذن لي بالدخول.

فأذن له، فارتفع الصياح والبكاء في منزله!

ثم خرجعليه السلام إلينا، فسألْنا عن البكاء؟

فقالعليه السلام: «إنّ أبي قد توفّي الساعة»

فقلنا: بما علمتَ؟

قالعليه السلام:«قد دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمتُ أنّه قد مضى.»

-يقول الراوي-: فتعرّفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر، فإذا هو(ع) قد مضى في ذلك الوقت صلوات الله عليه.)[1]

ويقول (هارون بن الفضل):

(رأيتُ أبا الحسن الهادي(ع)صاحب العسكر، في اليوم الذي توفّي فيه أبوه(ع)، يقول: «إنّا لله، وإنّا إليه راجعون، مضى والله أبو جعفر(ع).»

فقلتُ: تعلم وهو ببغداد وأنت بالمدينة؟!

قال(ع) :«تداخلتني ذِلّة واستكانة لله لم أكن أعرفها».)[2]

ثمّ إنّ الإمام الهادي(ع)طوى الله له الأرض ليدفن أباه الإمام الجواد في مقابر قريش..

ففي جلاء العيون: (إنّ علياً الهادي(ع) أقبل بطيّ الأرض إلى بغداد، وغسّل أباه وحنطّه وكفّنه ودفنه في مقابر قريش في ظهر جدّه موسى بن جعفر(ع)..ثم رجع(ع) إلى المدينة في يومه. فلمّا رجع إلى المدينة ارتفعت الأصوات من الهاشميات في دُورهن.)

أقول: إنّ من هوان الدنيا على الله أن يقضي ابن رسول الله حياته بالسمّ ظلماً. وأن يقضي مَن أوصاهم النبيّ بمودّته، مفتتَ الأوصال، لينبذوا كلام الله ورسوله وراء ظهورهم، رغبة عنه يريدون، وبغيره يحكمون!

---

[1] - البحار ج٥٠ ص٢.

[2] - دلائل الإمامة ص٢١٩.

فكأنّ الآية نُسخت، إلى زجر الأمّة عن مودّة قربى النبيّ، وإيذائهم بقصارى المجهود من الظلم والإضطهاد..و كأن القتل غاية المودّة!!

يقضى أبو جعفر الجواد-بعد كلّ الغصص التي ذاقها-. ولا يستطيع ابنه الهادي أن يأتي إليه إلا عبر المعجزة بطيّ الأرض!، ويدفنه عند مرقد جدّه الإمام الكاظمﷺ الذي عاش -كآبائه- مضطهداً مظلوماً..

ثمّ لم يكتف المعتصم بذلك، بل إنّه (لمّا قضى الإمامﷺ نحبه، أمرَ بأن لا يحملوه، ويشيّعوه ويدفنوه ويدنوا منه. وبقي جسدهﷺعلى الأرض أياماً بلا غسل ولا كفن ودفن! فاجتمعت الشيعة وحلفوا على أن يُقتلوا دونه أو يدفنوه.

فقال المعتصم: دعوهم وما يريدون.فعملوا له شأناً عظيماً حتى دفنوه.)[1]

و روي أنّه: (حاول المعتصم أن يدفن الإمام سرّا، ولا يسمح لأحد في تشييع جنازته. ولكن الشيعة خرجوا بذلك الموكب المهيب، الذي يربو عددهم على اثني عشر ألفا، والسيوف على عواتقهم، فشيّعوا جنازة الإمام رغم معارضة السلطة.)[2]

---

[1] -راجع كتاب نور الأبصار.

[2]- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج١ ص٢٢٦.

ولم يتزجر المعتصم بعد كلّ ذلك، بل و (نهى عن زيارة مقابر قريش[1]، والحائر.

فلمّا كان بعد أشهر، دعا الوزير (الباقطاني)، فقال له: ألق بني الفرات، و(البرسيّين)[2]، وقل لهم: لا تزوروا مقابر قريش، فقد أمَرَ الخليفة أن يتفقّد كلّ مَن زار، فيُقبض عليه.)[3]

..فحقّا انّ الإمام الجوادﷺ ما كان بِدعاً من الأئمّة في ما جرى عليهم..

فكما هم ذاقوا من علقم الإضطهاد أشدّه،

وكما عانوا الأمرّين من نزوات الأعداء،

وكما ابتلوا بطاغوت من طواغيت عصورهم، وفرعون من فراعنة زمانهم، يجرّعونهم الغُصص، ويحاربونهم بكلّ ما أوتوا من حَول وقوّة..

كذلك الإمام الجوادﷺ.

لم يُرِم لهم إلا الخير، ولم يبغوا له إلا الشر، فتعساً لهم وويلا، وسقياً لهﷺ ورعياً، والسلام عليه يوم خُلق نوراً زاهراً وضّاءا، ويوم وُلد طهراً طاهراً مطهّرا، ويوم قُتل برّاً تقيّاً نقيّا، ويوم يُبعث حيّاً.

---

[1] - المراد من مقابر قريش: الإمام موسى الكاظم والإمام محمّد الجواد.

[2] - برس: قرية بين الحلّة والكوفة.

[3] - البحار ج٥١ ص٣١٢.

فهرس